ما موكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة فان قلت فما جزا هذا الشرط قلت الفا وما بعده من الشرط والجزا والمعنى فمن اتقى واصلح منكم
والذين كذبوا منكم وقرئ تاتيكم بالتا فمن اظلم فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار
حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنصيبهم لينالهم نصيبهم واستيفائهم له اي الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدا بعدها الكلام والكلام هاهنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم
رسلنا قالوا ويتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين
الالهة التي تدعون ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافهم بانهم لم يكونوا على شي فيما كانوا عليه وانهم لم يجدوه في العاقبة قال ادخلوا اي يقول
الله تعالى يوم القيمة لاولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم قد خلت من
قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التي ضلت بالاقتدا بها حتى اذا اداركوا فيها اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع
والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والروس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم عذابا ضعفا مضاعفا لكل ضعف لان كلا من القادة
والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون وقرئ بالتا واليا فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي
فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السما لا يصعد لهم
عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السما فالمعنى لا يوذن لهم في صعود السما ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل
لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المومنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا ابواب السما وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح باليا ولا تفتح
بالتا والبنا للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات وباليا على ان الفعل لله عز وجل وقرا ابن عباس الجمّل بوزن القمّل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر
وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله تعالى
احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراة العامة اوقع لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك
يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتدا به في المضايق المشبهة باخراق الابر والجمل مثل في عظم الجرم وقال جرم الجمال واحلام العصافير
ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع في ثقب الابرة
وعن ابن مسعود انه سيل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف وقرئ في سم بالحركات الثلث وقرا عبد الله في سم المخيط
والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزا الفظيع نجزي المجرمين ليوذن ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل
من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد فراش غواش اغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله تعالى وله الجوار
المنشات في قراة عبد الله لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم
بما هو في الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرا الاعمش لا تكلف نفس من كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت
قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التوادّ والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اي وفقنا لموجب
هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي بعنوت وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه
وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتدا فاهتدينا
يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله
للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث وتكون بمعنى اي لان المناداة
من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ان في ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة
من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت انفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم

وان تكون حكاية لطفا لمن سمعها وكذلك قوله المؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة والنار وقرئ ان
لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا
ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة ما وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة
لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك وبينهما حجاب يعني بين الجنة والنار وبين الفريقين
وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس
وعرف الديك رجال من المسلمين من اخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة
يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم
عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار وراوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمة الله ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا
من رؤس الكفرة يقولون لهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤسا يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم
من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى
الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله
الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنه الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم
بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا
وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرا الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء
للمفعول وقرا عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة
مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف
فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون
له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون
من الكثرة افيضوا علينا فيه دليل ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله
من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع ياسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم
شراب الجنة وطعامها كما يمنع المحرم المكلف المحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان تطعما الكرى فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من
الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه
ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرا ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل
عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه الا تاويله الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من
الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاؤا بالحق نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كانه قيل
هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل اخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع
او نرد وقرا ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون او بمعنى حتى ان اي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرا الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى
فنحن نعمل يغشي الليل النهار وقرئ يغشي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى
الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملائمة لقراءة حميد بامره بمشيته وتصريفه وهو متعلق

بسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمي ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك وقري والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشيا وهو الذي صرفها على حسب ارادته تضرعا وخفية نصب على الحال
اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا وقري خفية وعن الحسن رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي
والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة
وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في
الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا
وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شي من الدعاء وغيره عن ابن جريج هو رفع الصوت
بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء الاكثار وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء
ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا قوله انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من
المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اي شي قريب
او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقي
وقري نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا تخفيف
نشر كرسل ورسل وقرا مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا بفتح البا
مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت و
اشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالماء وجمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ
ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقري ميت فانزلنا به بالبلد او
بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيوديكم التذكر الى انه لا فرق
بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشي بعد انشايه والبلد الطيب الارض العذاة الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع
به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وقري يخرج نباته اي
يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه
الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقري نكدا بفتح
الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يوثر
فيه شي من ذلك وعن مجاهد ادم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المومن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث
فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف
نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المومنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقري يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد
ارسلنا جواب لقسم محذوف فان قلت ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت انما
كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم
قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي صلى الله عليه وسلم وقري غيره بالحركات
الثلث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا او غير زيد

فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون
من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملأ الاشراف والسادات وقيل الرجال ليس معهم نساء
في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال
فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء
عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين
استدراكا للانتفاء عن الضلالة وقرئ أُبْلِغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا بيانا لكونه رسول رب
العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان
في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر
والبشاير والنذاير ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهي ثلثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم
يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع
بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة
بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم وكانوا امنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه واراد واعلم
من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحي الي بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان
جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون
ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملايكة لينذركم وليتقوا ليحذركم عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية
بسبب الانذار ولعلكم ترحمون ولترجوا بالتقوى ان وجدت منكم والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث
وسبعة ممن امن به فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء
اي انجيناهم في السفينة من الطوفان عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث
ونحوه قوله وضايق به صدرك اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته
وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال
كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سوال سايل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين كفروا
دون الملأ من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف
قوم نوح مومن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة في خفة حلم وسخافة
عقل حيث تهجر دين قومك الى دين اخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز اراد وانه متمكن فيها غير منفك عنها وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم
الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب
حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ناصح امين اي عرفت
فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او
جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم
مائة ذراع فاذكروا الاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواها من عطاياه وواحد الالاء الى ونحوه اني واناء وضلع واضلاع وعنب واعناب

فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم اجيتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا
اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الاباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشاوا عليه والفا لما صادفوا اباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى
المجي في قوله اجيتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما
اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجيتنا من السماء كما يجي الملك وان لا
يريدوا حقيقة المجي ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك
فاتنا بما تعدنا استعجال منهم العذاب قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه
قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن قد لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طوير كانه ملتف في بردي
حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات
لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شي ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا وقطع دابرهم
استيصالهم وتدميرهم عن اخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله
اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا انزل بهم
بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر
فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا
من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية بن بكر فلما راى طول مقامهم وذهولهم
باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهولاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين
فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما
فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا
ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها فقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم
ونجا هود والمومنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فايدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مومنين مع اثبات التكذيب باايات
الله قلت هو تعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من امن منهم ليوذن ان
الهلاك خص المكذبين ونجى الله المومنين قري الى ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر
وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى
قد جاتكم بينة اية ظاهرة وشاهدة على صحة نبوتي كانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية واية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة
من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها اية ولكم بيان لمن هي له اية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وساير الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة
كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها كانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة اية من اياته كما تقول اية الله
وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حيوته فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم

لبثا يدعوهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من
السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم
قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفا وبرا والمخترجة التي شاكلت
البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفا وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط
من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كانت يومها وضعت راسها في البير
فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلي اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر
الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت بطن الوادي
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها
واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه
وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السما فتقطعت قلوبهم فهلكوا تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض
لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الاذى اكراما لاية الله ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلا المعذبين الا ان تكونوا
باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى
الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرا ابو جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى اكلة وبواكم ونزلكم والمباءة المنزل
في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وقرا الحسن وتنحتون
بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل حرة فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر
هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون
السهول في الصيف والجبال في الشتا للذين استضعفوا للذين استضعفهم روساء الكفار واستذلوهم ولمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا فان قلت
الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا
رجع الى قومه فقد جعل من امن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان الاستضعاف كان مقصورا على المومنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف
مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مومنين وكافرين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون
ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مومنون جوابا عنه قلت سالوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما
لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مومنون
ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي امنتم به كافرون فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المومنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة اسند
العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه
واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تاكل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى

وصدر عتوهم عن امر ربهم بتركها كان امر ربهم هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله ما فعلته عن امري ايتنا بما تعدنا ارادوا من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه
كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين والرجفة الصيحة التي زلزلت بها الارض واضطربوا لها في دارهم في بلادهم او في مساكنهم
جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم لا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الايات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال
فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر
قصة ابي رغال وانه دفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم
وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم الُ جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكن
لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب روي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء
ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار
وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع
حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا وارسلنا لوطا واذ ظرف لارسلنا
او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك
سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة من احد من العالمين من الاولى زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض
فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسوال مقدر
كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به اينكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم
وقرئ انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال من اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع ولا ذم اعظم منه
لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ
اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبايح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن
ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا يعني ما اجابوه بما يكون
جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاووا بشيء اخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته
من الامر باخراجه ومن معه من المومنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار
بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد وَأَهْلَهُ ومن يختص به
من ذويه او من المومنين من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم
وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت الموتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف عليه الحجر اربعين
يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير
مطور حري ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر
فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا اي وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى
الى قوله فساء مطر المنذرين كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع
العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبيا لا نبيا غير ان معجزته
لم تذكر في القران كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة
حين وعده ان يكون له الدرع من اولادها ووقوع عصا ادم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الايات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى فكانت معجزات
لشعيب فان قلت كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل
كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه اذا نقصته
اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا
مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او
اعطوه بدلها زيوفا بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبياء واتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة
قوله بل مكر الليل والنهار يعني بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك
البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس
ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والتسوية ان كنتم مومنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط اي ولا تقتدوا بالشيطان في
قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله و
محل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي فلا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة
وكانوا اذا راوا واحدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه فان قلت الام يرجع الضمير في امن به قلت الى كل صراط تقديره توعدون من امن به وتصدون
عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون
لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله
عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا
يعوج واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم
تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة
فاعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين اخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فاصبروا
فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله
فتربصوا انا معكم متربصون او هو موعظة للمومنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا
للفريقين اي ليصبر المومنون على اذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من امن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه
حق وعدل لا يخاف فيه الحيف اي لتكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر فان قلت كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم
او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغاير الا ما ليس فيه
تنفير فضلا عن الكباير فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن
فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله

منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا من ذلك اجرا للكلام على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود
فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان يشاء ردة المومنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه
انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شي علما اي هو عالم بكل شي مما كان وما يكون فهو يعلم احوال
عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا
لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان مشية الله يعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة او لو كنا كارهين
الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره انعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح
بيننا الحكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت
خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه
وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجيب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافترا من الكافر
لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزايد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق
والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين
دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوايد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية فان قلت ما جواب القسم الذي وطاته
اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك
كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان
الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء
وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزا بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الآسى شدة الحزن قال العجاج
وانحلبت عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم
ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف اسى عليكم يعني انه لا ياسى عليهم لانهم
ليسوا احقاء بالاسى وقرا يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة الا اخذنا اهلها بالباسا بالبوس والفقر والضرا بالضر والمرض لاستكبارهم عن
اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا
فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا
الشجر والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستاسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات
الشحم كوم وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا
نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا ان نأخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم
فجاءة من غير شعور منهم اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا
واهلكوا امنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لاتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات
ولكن كذبوا فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات عليهم قلت تيسيرها عليهم كما ييسر امر الابواب
المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القاري اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله

فجاءها باسنا بياتا او هم قايلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيّته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان ياتيهم باسنا بائتين او وقت بيات
او مبيّتا او مبيّتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيّتهم باسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال اتانا ضحى وضحيّا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس
اذا اشرقت وارتفعت والفاء والواو في افامن واو امن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية
بالواو قلت المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان
المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى وقرى أَوْ امن على العطف باو وهم يلعبون
يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء قوله افامنوا مكر الله قلت هو تكرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة
لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع
بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان ياتيهم باسنا بياتا اذا قرى اَوَ
لم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا قرى بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشان بمعنى
اولم يبيّن لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين فان قلت بم يتعلق قوله ونطبع على قلوبهم
قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى
ونحن نطبع على قلوبهم فان قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شينا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى لان القوم
كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يودي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا
بها تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان تكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان تكون القرى نقص
خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا قلت هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في معناه
ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من ايات الله من
قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى اخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين
لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الايات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم
على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد
الضمير للناس على الاطلاق اي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى وان وجدنا وان الشان
والحديث وجدنا اكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والاية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم اذا كانوا عاهدوا الله
في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ونحوه الى قوله اذا هم ينكثون والوجود
بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما
من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم فظلموا بها فكفروا بآياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا
الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من امن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل ظلموا بها اي
كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل
الوليد بن مصعب بن الريان حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا
اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى

الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمني فلما كان قول الحق حقيقا عليه
كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القران
ان يغرق موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول
انا حقيق على قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معي
راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم
الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذي دخله موسى اربعماية عام **فان قلت** كيف قال له فات بها بعد
قوله ان كنت جيت باية **قلت** معناه ان كنت جيت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي ليصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك
في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون
لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا
قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا **فان قلت** بم يتعلق للناظرين
**قلت** يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر
اليه كما يجتمع النظارة للعجايب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء
بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام ادم شديد الادمة ان هذا الساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس
بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والادم ابيض **فان قلت** قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وانه قاله للملا وعزي هاهنا
اليهم **قلت** قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم هاهنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملا فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ
كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الراي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم يبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم ارجه واخاه وارسل في المداين
حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقري سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه موامرة مع القبط وقولهم فماذا تامرون من امرته
فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي وقيل فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا له ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه
قيل قال فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقري ارجيه
بالهمزة وارجه من ارجاه وارجاه **فان قلت** هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا **قلت** هو على تقدير سايل سال ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله قالوا
اين لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقري ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول
العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة **فان قلت** وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه **قلت** هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب
كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب
وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنا بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر
من يخرج وروي انه دعا برؤسا السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا تطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة
لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من
اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر تخييراياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين
قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتاخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله
من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف الخبر ولقام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة

بما كان بصدده من التاييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله
يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملات الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم و
ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم في باب السحر روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق ما يافكون
ما موصولة او مصدرية يعني ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك روي انها لما تلقفت ملا الوادي من
الخشب والحبال ورفعها موسى عليه السلام فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا
لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم فاس وقيع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين
والقي السحرة وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء
بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشاوا في الكفر وبذلوا انفسهم لله امنتم به على الاخبار اي
فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ ءامنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة ان صنعكم هذا
لحيلة احتلتموها انتم في مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء وقد تواطاتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان
هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لاتين بسحر
لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن وكذلك ثم لاصلبنكم
من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى
لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى
الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان امنا وما تعيب منا الا الايمان بايات
الله ارادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا
واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل
او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين
ثابتين على الاسلام ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك الهته وكانه تركهم لذلك
او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك
ترك موسى ويكون تركه اياك والهتك وقرئ ويذرك والهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره ويذرك اي اتطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على
معنى اتذره وهو يذرك والهتك وقرا الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرا انس رضي الله عنه ونذرك
بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستماية الف نفس
فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام
الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى سنقتل ابناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا
عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث
المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين
قال فرعون سنقتل ابناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكرهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم
وديارهم فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت هي جملة مبتداة مستانفة واما وقال الملاء فمعطوفة على ما سبقها من قوله

قال الملا من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يجوز ان يكون اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة لقوله واورثنا الارض وان يكون للجنس فتتناول ارض مصر لانها
من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالجنس بالمرء الجنس وغرضه ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن
القبط وان المشية متناولة لهم وقرا والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود عطفا على الارض اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل
ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام الى ان استنبي واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون به من انواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب
عسى ربكم ان يهلك عدوكم تصريح بما رمز عليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكاين منكم
من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمة الله عليه انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مايدته رغيف
او رغيفان وطلب زيادة لعمرو بن عبيد فلم يوجد فقرا عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا
وقال ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم وعن كعب ياتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون
فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لايات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افيدة وقيل عاش فرعون اربعماية
سنة ولم ير مكروها في ثلثماية وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه
اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن
معه يتطيروا بهم ويتشاموا ويقولوا هذه بشومهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك فان قلت كيف
قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا في
الندرة ولا يقع الا شي منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهلا عددت ايام الرخاء طايرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيته
والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شوم احد ولا يمنه بسبب فيه كقولك قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله وهو
عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الاية ولا طاير اشام من هذا
وقرا الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طاير غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة
المؤكدة للجزاء في قولك متيما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما تذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد
البصري ومن الناس من يزعم ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تاتنا به من اية لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين فان قلت
ما محل مهما قلت الرفع بمعنى ايما شي تاتنا به او النصب بمعنى ايما شي تحضرنا تاتنا به ومن اية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما
ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الاية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امري من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد
الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جيتني اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية
في شي ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من اية بمعنى الوقت فيلحد في ايات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت
كيف سموها اية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت ما سموها اية لاعتقادهم انها اية وانما سموها اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما
طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون فيها شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج
من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرايل وبيوت القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء
الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل بيوت بني اسرايل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن
ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نومن بك فدعا فرفع عنهم فما امنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم

ثم اكلت كل شي حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرايل منها شي ففزعوا الى موسي ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة
ايام خرج موسى عليه السلام الى الفضا فاشار بعصاه نحو المغرب والمشرق فرجع الجراد الى النواحي التي جا منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا
فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير
السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلي قملا وكان يخرج احدهم
عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم واشفار
عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك
ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلات منها انيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع
وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلي منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي
وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم
ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم وكان يجمع بين القبطي والاسرايلي على اناء واحد فيكون
ما يلي الاسرايلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرايلي الماء حتى ان المراة القبطية تقول لجارتها الاسرايلية
اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الطرية الرطبة فاذا مضغها صار ماوها الطيب
ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف روي ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم
هذه الايات وروي انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة
ولقومي عظة ولمن بعدي اية فحينيذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرا الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل
المعروف ايات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة
على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم بما عهد عندك ما مصدرية
والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد
الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنومنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لين كشفت عنا الرجز لنومنن
الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني
فلما كشفنا عنهم فاجاوا النكث وبادروه ولم يوخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم واليم البحر الذي لا يدرك قعره
وقيل هو لجة البحر ومعظم مايه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالايات وغفلتهم عنها
وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرايل كان يستضعفهم فرعون وقومه والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرايل بعد الفراعنة
والعمالقة وتصرفوا كيف شاووا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على الذين
استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تانيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرايل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه
بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلا بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن
عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله تعالى وتلا الاية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي الصبر وقرا عاصم في رواية وتمت كلمات ربك
الحسنى ونظيره من ايات ربه الكبرى مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ
من الجنات وهو الذي انشا جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقري يعرُشون بالكسر والضم وذكر

اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرا بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا اخر ما اقتص الله من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم
بايات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الايات العظام ومجاوزتهم
البحر من عبادة البقر وطلب روية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصف ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله
وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشورا بعد ما اهلك الله فرعون وقومه
فصاموه شكرا لله فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان
العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم وقري وجوّزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوّزه وجاوزه بمعنى
جازه كقولك اعلاه وعلّاه وعالاه وقري يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل لنا الها صنما نعكف عليه كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف
ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجفّ ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم
انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما راوا من الاية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكّده لانه لا جهل اعظم مما راى منهم ولا اشنع
ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمّر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبّر الله ويهدم
دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطّم اصنام هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحلّ
لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا
من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغّض اليهم
ما احبوا أغير الله أبغيكم الها اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم
لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب *
يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من
ال فرعون وذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة والمحنة وقري يقتلون بالتخفيف روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل
وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو
شهر ذي القعدة فلما اتمّ الثلثين انكر خلوف فيه فتسوّك فقالت الملايكة كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان
خلوف فم الصايم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله ان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها
بما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلّم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصّلها هاهنا وميقات ربه ما وقت له من الوقت و
ضربه له واربعين ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقري بالضم على الابتدا اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم
واصلح وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ومن دعاك منهم الى الفساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا
له وحدّدنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه لميقاتنا كما يقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك
وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن
ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين أرني أنظر اليك ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني
نفسك انظر اليك فان قلت الروية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رويتك بان تتجلى لي فانظر
اليك واراك فان قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الروية التي هي الادراك
علم ان الطلبة هي الروية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس

بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه ويتعالى عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة
ومنع المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل
السفهاء الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلب الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من
فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فاراد ان يسمعوا
النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم
ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه انما كلم موسى وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يري موسى ذاته فيبصروه معه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة
مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى رب ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك
كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته وكان ما يخاطب به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم
دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله من واصل
بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد للنفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا تنفي المستقبل تقول
لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما
يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى ان
النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر اخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف افعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية
لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره وكانه عز وجل حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا
فان استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا
ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد
بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له
امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض
كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اي مدها مستوية وقرأ يحيى
بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من الصاعقة ويقال لها
الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون
يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة فلما افاق من صعقته قال سبحانك انزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت اليك من طلب الرؤية
وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فان قلت فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من اجرائه تلك المقالة
العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله فانظر الى اعظام الله امر الرؤية في هذه الاية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف اصعقهم
ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجيا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين
بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية
فيهم لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة وتفسير اخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني
نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها باية مثل ايات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء
في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني اي لن تطيق

تعرفني على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الاية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له اية من تلك الايات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم
يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له اية من ايات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما راى فلما افاق قال
سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المومنين بعظمتك وجلالك وان شيا لا يقوم لبطشك وباسك اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك و
اثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التورية وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل
النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التورية يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله ونبيا قلت اجل ولكنه
كان تابعا له وردا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة
وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده
وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة
وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر
بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا
بي شيا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له
خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما اتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتورية
ومعنى بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا بأحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا
على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من
المباح ويجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه
وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله
لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرا الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اورني كذا واوريته ووجهه ان يكون من
اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرى ساورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله تعالى واورثنا القوم الذين يستضعفون سأصرف عن
آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن فضيل بن عياض
ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل
سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل اية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم
عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الايات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا
يكونوا امثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل
التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وان يروا كل اية من الايات المنزلة عليهم لا يومنوا بها وقرا مالك بن دينار وان يروا بضم الياء
وقرى سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان راى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان
راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك
الصرف بسببه ولقاء الاخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الاخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف
بمعنى ولقاء ما وعد الله في الاخرة من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري
قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل

واخر ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به وكانهم اجتمعوا عليه و الثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه وقري من حليهم بضم الحا والتشديد
جمع حَلْي كثَدْيٍ وثُدِيٍّ ومن حِلِيّهم بالكسر للاتباع كدِلِيٍّ ومن حَلْيِهم على التوحيد والحلي اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم
ولم تكن الحلي لهم وانما كانت عواري في ايديهم قلت الاضافة تكون بادني ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد
المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا
بدنا ذا لحم ودم كساير الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل
فكان عجلا له خوار وقرا علي رضي الله عنه جوار بالجيم والهمزة من جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا
يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل الحق
ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدا فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين
كل شي في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان
من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرا
ابو السُّمَيفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده
مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم
تبيّنا كانهم ابصروه بعيونهم وقري لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال ادم وحواء عليهما السلام
وان لم تغفر لنا وترحمنا الاسف الشديد الغضب فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب
اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون عليه السلام والمومنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى
بيسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما يقتضيه بيس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل
مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بيس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني
قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركا عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت
نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق الخلفا ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من
بعدهم خلف اي من بعد اوليك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدّى
تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصيكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ اخره
ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله
موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه
من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هارون الين منه جانبا ولذلك
كان احب الى بني اسرائيل من موسى روي ان التورية كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح فتكسرت فرفع ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان
فيما رفع تفصيل كل شي وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه
وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف ابن ام قري بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح يا الاضافة وابن امي بالياء وابن إم بكسر الهمزة
والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق
الواجب ولانها كانت مومنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم يال جهدا

في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروا واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو
امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقري فلا يشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله ولا تجعلني مع القوم
الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم لما اعتذر اليه اخوه وذكر
له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى
فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والاخرة غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم
من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية المفترين المتكذبين
على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الحيوة
الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه
وامنوا واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته
متخذوا العجل ومن عداهم عظم جناياتهم اولا ثم اردفها بعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي
وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة فلا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل
ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء لم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح
الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقري
ولما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة
فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون ونقول لك ضربت *
واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ومنا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى
تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا
فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين فذهب عنهم الجهل والصبي فامرهم
موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنى موسى من الجبل
وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنى موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره
وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال
رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من
قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما راى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوه سفها وجهلا ان هي الا فتنتك
اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من
تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما
كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا واقسم في
هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الاخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو
التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الها من هاده يهيده اذا حركه وامال ويحتمل امرين

ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا انفسنا وامِلناها او حركنا اليك وامُلنا على تقدير فُعِلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة
ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضم فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من
حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ
كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن من اساء من الاساءة فسأكتبها هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل
للذين يكونون في اخر الزمان من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع اياتنا وكتبنا يومنون لا يكفرون بشي منها الذين يتبعون الرسول
الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القران النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجدون نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في
التورية والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه
من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربوا والرشوة وغيرهما من المكاسب
الخبيثة الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال
مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطاء من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع
النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كان بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم
الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه منعوه
حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد هو المنع
والنور القران فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به ويجوز ان يعلق
باتبعوا اي واتبعوا القران المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق
هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الروية على الله وعلى كفرهم
بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم باياتنا يومنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا
برسول الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين
اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا
نصب على الحال من اليكم فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان
يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت
وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة
غيره وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القران او اراد جنس ما كلم وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم
وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة
تمنى لعلكم تهتدون ارادة ان تهتدوا فان قلت هلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه
الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزيد البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي
يومن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المومنون التائبون من بني اسرائيل
لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة روية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس
بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم

وامن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياهم كفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق
بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفا مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول
الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم محمدا احمد فليقرا عليه مني السلام فرد محمد على موسى السلام ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم يكن نزلت
فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم
فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المومنين فهل يزيد صلحا لكم عليهم شيا من يهدي بالحق وبه يعدلون وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم
نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر
ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سايلهم عنه يوم القيمة
وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة
والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه
مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة
ونظيره بين رماحي مالك ونهشل واسباطا بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم
خلاف ما تؤم الاخرى لا تكاد تاتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف
غربي دالج تبجسا فان قلت هلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف
عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة
والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو سكارى
وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه كلوا على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا
يضرون انفسهم ويرجع وبال الظلم اليهم واذ قيل لهم واذكروا اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت
لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت
سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر
الرغد لا يناقض اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير
قول القايل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد وقرئ
نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول واسالهم وسل اليهود وقرئ واسلهم وهذا السوال معناه التقرير والتقريع
بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرا كتابهم علم انه من جهة
الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي
عمرو بن العلا ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطيه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون
حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من
الاعداد وكانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك
الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه ويوم لا يسبتون

وقرا عمر بن العزيز ويوم اسباتهم وقري لا يسبتون بضم اليا وقرا على رضي الله عنه لا يُسبتون بضم اليا من أسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البنا للمفعول اي
لا يدار عليهم السبت ولا يومرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلها من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية
اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون
ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في السمك شرعا ظاهرة على وجه الما وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش
البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلا الشديد نبلوهم بسبب فسقهم
واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب أُمَّةٌ مِنْهُمْ جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى ايسوا
من قبولهم لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا لتماديهم في الشر وانما
قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ اي موعظتنا ابلا عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط وَ
لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقا وقري معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية
فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الامة الذين قالوا
لم تعظون من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن علة الوعظ
والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يوثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب
العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على الماصر او الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا
للتلهي بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في
امرهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم
وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل بهولا الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم و
قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا
باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوا واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا
سمانا كانها المخاض لا يرى الما من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا
حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل
ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان
العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم
تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام
فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم
فعرفت القرود انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار
الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه
قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر بَئِيسٍ شديد يقال بوس يبوس باسا اذا اشتد فهو بئيس
وقري بيس بوزن حذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفا كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة يا كذيب في ذئب وبئس على فيعل بكسر الهمزة
وفتحها وبيّس بوزن ريّس على قلب همزة بئيس يا وادغام اليا فيها وبيس على تخفيف بيّس كهين في هيّن وبائس على فاعل فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ فلما

تكبروا عن ترك ما نهوا عنه لقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان
الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البيس هو المسخ تاذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان
وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويوذنها بفعله واجري مجري فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله
ليبعثن والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يودون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد وقطعناهم
في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم
ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة فان قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف ومعناه ومنهم ناس منحطون عن
الصلاح ونحوه وما منا الا له مقام معلوم بمعنى وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيات بالنعم والنقم لعلهم ينتهون فينيبون فخلف
من بعدهم اي بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقروونها
ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها ياخذون عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشي الادنى يريد الدنيا وما
يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا
ياخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يواخذنا الله بما اخذنا منه وفاعل سيغفر الجار والمجرور
وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون
الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من ارتكب
ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى
وعن مالك بن دينار ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهولاء من هذه
الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقري ورثوا الكتاب والا تقولوا
بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا وافلا يعقلون بالياء والتاء فان قلت ما موقع قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب وافترا
على الله وتقول عليه ما ليس بحق ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافترا على الله وتقول
عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل
الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق فان قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على الم يوخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا
ما فيه والذين يمسكون بالكتاب فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتدا وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في
معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني ان يكون مجرورا عطفا على للذين يتقون ويكون
قوله انا لا نضيع اعتراضا وقري يمسكون بالتشديد وتنصره قراة ابي والذين مسكوا بالكتاب فان قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة
الصلوة فكيف افردت قلت اظهارا لمزية الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان وقرا ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب واذ
نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما اظلك من سقيفة او
سحاب وقري بالطاء من اطل عليه اذا اشرف وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لغلظها وثقلها
فرفع الله الطور على روسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم
ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها

العقوبة ولما نشر الله موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرا عليه التورية الا اهتز وانغض لها راسه خذوا
ما اتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اتيناكم او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من
الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا ما اتيناكم من الاية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه
كقوله ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم
عليه وقرا ابن مسعود وتذكروا وقري واذّكروا بمعنى وتذكّروا من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم
من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته
وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركّبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى
انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله جل وعلا انما قولنا لشيء اذا
اردناه ان نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار
ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبّه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبّهوا
عليه قايم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء كما لا عذر لابائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت
بنو ادم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بابائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الايات
التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها واسلوبها وذلك قوله وسلهم عن القرية التي واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم
افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات ولعلهم
يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقري ذرياتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ
منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم باعورا اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه
الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقري فاتّبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه
طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملئكة فالحّوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه
الى منازل الابرار من العلماء بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشية الله
ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله رفعه تابعة للزوم الايات فذكرت
المشية والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الذي هو
فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشا فمثله كمثل الكلب فصفته التي
هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج وطرد او ترك غير متعرض
له بالحمل عليه وذلك ان ساير الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في
اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو
ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دايم

الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من
اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكر القران المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص بلعم الذي
هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا نحو زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة
لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا
فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم
المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون حمل على المعنى كثيرا من الجن
والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر
اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من ايات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الاذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكا
شكائمهم فيه وانه لا ياتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه
الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم ال المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان
الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد
الايمان يتاتى منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار
والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على
النار ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون
في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا
المكارم يا ابيض الوجه يا سخي او ان يابوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون
في اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالروية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام الهة واشتقاقهم
اللات من الله والعزى من العزيز لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون اعمال اهل النار اتبعه قوله وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه
وسلم ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبي هم الذين امنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين استدراج استفعال من الدرجة
بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة وقال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره
وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج قوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم
قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا
وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ
بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان
ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي عليه السلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله
فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت
الملك العظيم ما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة

والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى او لم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب
الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله
فباي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وماذا
ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستيناف ويذرهم بالياء والجزم عطفا
على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسئلونك قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى
هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش عن الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيمة بالساعة لوقوعها
بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه
لان معناه اي وقت واي فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند قاله ابن جني وابان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرا السلمي ايان بكسر
الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى
الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله انما علمها اي علم وقت ارسائها عنده قد استاثر
به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك
لا يجليها لوقتها الا هو لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها
احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملئكة والثقلين اهمه شان الساعة ويود ان يتجلى
له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة
فيها لا تاتيكم الا بغتة الا فجاءة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في
سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في المسالة عن الشيء والتنقير عنه
استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله واحفى في المسالة اذا الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ
البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرا ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسالونك اي يسالونك
عنها كانك حفي اي عالم بها وقيل ان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسالونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل
القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كساير ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال
عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استاثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه فان قلت لم كرر يسالونك وانما علمها عند الله قلت
للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رحمهما
الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم
الغيب اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد الا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت اعلم
الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا
اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطيا في التدابير ان انا الا عبد ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم
يؤمنون يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير
للكافرين وبشير لقوم يؤمنون من نفس واحدة وهي نفس آدم جعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله تعالى
جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما

يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكّر بعدما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبيّن ان المراد بها
ادم لان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا
خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان
اخفه على كبدي حين حملته فمرت به فمضت الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرا
ابن عباس واستمرت به وقرا يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرا غيره فمارت به من المرية كقوله افتمارونه وافتمرونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت
به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك اقربت وقرئ أُثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا ادم وحواء ربهما ومالك
امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن اتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة
من الصلاح والجودة والضمير في اتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما اتيهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء
اي جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما اتيهما اي اتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون
حيث جمع الضمير وادم وحواء بريان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتيهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله
وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ال قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يباري وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتيهما
ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما اتيهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في
يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد اجريت
الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها الهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم
يخلقون لان الله خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم
نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه
الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم و
طلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح
معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس
ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم
ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم
لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم فقال الهم ارجل يمشون وقيل عباد امثالكم مملوكون وقرا سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون
الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية سماها مجازية
لانهم يختصون باعمالها قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم وكان يقول هذا الا واثق
بعصمة الله وكانوا قد خوفوه الهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من
دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين
من عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء
ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة

ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسّروا ولا تعسّروا قال خذي العفو مني تستديمي مودّتي ولا تنطقي في سورتي حين
اغضب وقيل خذ الفضل وما تسهّل من صدقاتهم وذلك قبل نزول اية الزكوة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها والعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض
عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الاية سال جبريل عليه السلام فقال لا ادري حتى اسال ثم
رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع لمكارم
الاخلاق منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنّك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنخس كالغرز والنخس كانه ينخس
الناس والنسغ حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جدّ جدّه وروي انه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك
ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني طيف من الشيطان لمّة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال
انى الم بك الخيال يطيف [illegible] او من طاف يطوف [illegible] وقرئ طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان
وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكّروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه
انفسهم واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدّونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادّونهم
بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كوايثها فان الخبر جار
على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين
اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او
جبى اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا
افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القران بصائر من ربكم
اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت
قراءة القران في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صارت سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرا فيه القران وقيل معناه
اذا تلى عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له واعملوا ما فيه ولا تجاوزوه وَاذْكُرْ رَبَّكَ في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القران والدعاء والتسبيح و
التهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا وَدُونَ الْجَهْرِ ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدوّ والاصال
لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق
للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله
وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ○ النفل الغنيمة لانها من
فضل الله وعطائه وقال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب
من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم
ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسالوا رسول الله عليه السلام كيف يقسم ولمن الحكم في قسمتها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل
له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا
سبعين واسروا سبعين فلما يسّر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا
لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعطهو لا ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي

وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجيت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي
هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت قليلا حتى جاءني رسول الله وقد انزلت سورة
الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن صامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت
فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرا ابن
محيصن يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرا ابن مسعود يسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم
من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله وللرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على
ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله تعالى وامر رسوله ان يواسي
المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يومن ان يقدح ذلك فيما
بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متاخين في الله واصلحوا ذات بينكم وتاسوا وتساعدوا فيما رزقكم
الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض
فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها
لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين كقولهم
وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مومنين ان كنتم كاملي الايمان و
اللام في قوله انما المومنون اشارة اليهم اي انما الكاملوا الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المومنون حقا وجلت قلوبهم فزعت و
عن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا
من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورافته وثوابه
وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيفزع وقرئ وجَلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فَرِقت زَادَتْهُمْ
ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان سبع وسبعون
شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض
وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم تستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه
جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المومنون ايمانا
حقا او هو مصدر موكد للجملة حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسين ان رجلا ساله امومن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مومن وان كنت تسالني عن قوله انما المومنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن
الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المومنين حقا فلا
يقطع بانه مومن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة رحمه الله ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا
لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي فقال له هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم
ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدا
محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهة ما رايت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب على انه صفة مصدر
للفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون

**ومن بيتك** يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت لساكنه **بالحق** اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب
الذي لا محيد عنه **وان فريقا** من المومنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ميل لأن عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة
ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة
الحال القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خروجهم فنادي ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا
بعدها ابدا وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رويا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السما فاخذ صخرة من الجبال ثم حلق بها فلم يبق
بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل بجميع اهل مكة ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا واحتى تتنبا نساوهم فخرج ابو جهل
بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل الساير لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا
حتى تنحر الجزور ونشرب الخمر ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ما
كانت تجتمع العرب فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان وعدكم احدي الطايفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه
وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو
فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف
عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برا من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا
نمنعك مما نمنع منه ابناونا ونساونا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ
فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جيت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع
والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى
بنا عدونا انا الصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ~~فسر بنا الى رسول الله~~ فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله فابشروا فان الله وعدني احدي الطايفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شي فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك
احدي الطايفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المومنين لكارهون والحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير
لايثارهم عليه تلقي العير **بعد ما تبين** بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب لكراهتهم
القتال ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد
لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل
من احدي الطايفتين والطايفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة
الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شايك السلاح اي يتمنون ان يكون لكم العير لانها الطايفة التي لا حدة لها ولا
شدة ولا تريدون الطايفة الاخرى ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبامره الملايكة من نزولهم للنصرة وبما
قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر **والدابر** الاخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطاير وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم

تريدون الفايدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين
ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطايفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم
واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقري بكلمته على التوحيد فان قلت بم تعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل
فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول
تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو
سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون قلت
هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك
يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثماية فاستقبل القبلة ومد يديه
يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبيه والتزمه من ورايه
وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرا اني ممدكم
بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملايكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في
خمسماية ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكاييل في خمسماية على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوا الاذناب من
اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى
شخصا قال من الملايكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه
فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين
لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم تقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المومنين والا فملك واحد كاف في اهلاك
الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مداين قوم لوط واهل بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقري مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا
تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جيت بعده فلا يخلو المكسورة
الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم
المومنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملايكة
اخرين او متبعين غيرهم من الملايكة ويعضد هذا الوجه قوله في سورة ال عمران بثلثة الاف من الملايكة منزلين بخمسة الاف من الملايكة مسومين ومن قرا مردفين
بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين ومردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال
فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بالاف من الملايكة على الجمع لتوافق ما في سورة ال عمران فان قلت
فبم يعتذر لمن قرا على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملايكة ملايكة اخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه
منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففيمن قرا بالكسر
قلت الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرايل
يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملايكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا
النصر من الملايكة فان الناصر هو الله لكم وللملايكة او وما النصر بالملايكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم
او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقري يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة

مفعول له فان قلت ما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة
لهم والمعنى اذ تنعسون امنة وبمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان يكون الامنة بمعنى
الايمان اي ينعسكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم
النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت
الخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القران عن احتماله وله فيه
نظاير وقد الم به من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقري امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حيوة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان
ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من
الشيطان وينزل قري بالتخفيف والتثقيل وقرا الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان
وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقري رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء
ونزل المومنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء
وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هولاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من
احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض
على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضاوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت
النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ
يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقري بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت
فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم
واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزايمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون
به انهم ممدون بالملايكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فياتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لين حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين
الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهولاء لا يعبدونه وقري الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعاليها الاعناق التي هي المذابح لانها
مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للروس وقيل اراد الروس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح وقال غشيته
وهو في جاواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد الاطراف فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير
مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملايكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا
لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المومنون ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب
والقتل والعقاب العاجل ومحل الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق
خلاف شق صاحبه وسيلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك
في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لخطاب كل احد منكم وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب
او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى
مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرا الحسن وان للكافرين بالكسر زحفا حال من الذين
كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا

لقيتموهم للقتال وهم كثير جمّ وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم
او حال من المومنين كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحف واثنى عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يوميذ
وفي قوله ومن يولهم يوميذ امارة عليه الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها او
متحيزا او منحازا الى فية الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفية التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة
استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فيتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله
عنه فقال يا امير المومنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر انا فيتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكباير فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت
على الحال والا لغو وعلى الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرا الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعّل
لانه من حاز يحوز فبناء متفعّل منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القايل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلايها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال
لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المومنون
يقتلونهم وياسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم والفا جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملايكة
والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوّى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي
رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت
الرمية لرسول الله لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها
لم توجد من الرسول اصلا وقرى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المومنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللاحسان الى المومنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعايهم عليم باحوالهم ذلكم اشارة
الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وقرى موهّن بالتشديد
وقرى على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا
تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكّنا للعاني ان كان محمد صلى الله عليه وسلم على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا
وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفيتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه فاهلكه
وقيل ان تستفتحوا خطاب للمومنين وان تنتهوا للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم
وان الله قرى بالفتح على ولان الله معين المومنين كان ذلك وقرى بالكسر وهذه اوجه وتعضدها قراة ابن مسعود والله مع المومنين وقرى ولن يغني عنكم بالياء
للفصل ولا تولوا قرى بطرح احدى التايين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله لان المعنى واطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة
الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز
ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون
بالقران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول لانكم مومنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادّعوا السماع وهم لا يسمعون
لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقران والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنايم
وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يومن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهايم الذين هم صم
عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهايم ثم جعلهم شرها ولو علم الله في هولاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع

المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا
ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد عليه السلام لا نسمعه
ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو
هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي
استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير
واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت
وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة كقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول
بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة دوايه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة
واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ
عزايمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جاير على الله عز وجل واما ما يثاب عليه العبد
ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه
يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمايره فكانه حال بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء
كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من
ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كانت جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل
نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الظلم ووباله
من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل
رايت الذيب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذيب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن
الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقراناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي
نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله كيف حبك
لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب
الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وكذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت
للتبعيض على الوجه الاول وللتبيين على الثاني لان المعنى لا يصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم اقبح منكم من ساير الناس اذ انتم نصب على انه مفعول به مذكور
لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا
لكم اعداء منافين مضادين فاويكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملايكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون
ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يوكلون ولا ياكلون فمكن
الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنايم وجعلهم ملوكا معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة
والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه
لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم

تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن
وروي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا
من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا
لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني
قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام
حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان
من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن مغيرة نزلت في قتل عثمان بن
عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم هو ام نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في
حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع
في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده فان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي
اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلها كقوله المال والبنون الاية وقيل هي من جملة ما نزل
في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى
يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من
الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به
حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت
الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت
مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون
اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي رايكم ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على
جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن
غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا
فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه
واذن له الله في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه
فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه
لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق
ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما
هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة
والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب
البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله وتهالكهم على ان يغمروه وقيل
قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار

فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القايل ان كان هذا هو الحق وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القران هو الحق فعاقبنا على
انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب اخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا
مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو
الحق وقرا الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وهو في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت
وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب فان قلت ما فايدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا من السماء قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل
وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي بنوع اخر من جنس العذاب
الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع اخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة
قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا
له اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام
نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات
التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم ان لا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم
اي ولو كانوا ممن يومن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يومنون ولا يستغفرون ولا يتوقع
ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين وما لهم
ان لا يعذبهم الله واي شي لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما
صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمومنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا
اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباره ان اولياوه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي
امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد
بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفة نحو
الوضاء والقراء وقرا مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا قومك منه يصدون وقرا الاعمش
وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو من قوله وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه اداهم سودا او محدرجة
سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلوة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء
وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوته يخلطون عليه فذوقوا عذاب
القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر
وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد
استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل
الله كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة وكانّ
ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المومنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي
وَالَّذِينَ كَفَرُوا والكافرون منهم الى جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيثَ الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب
من المومنين ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم

اولئك اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي انفقه المسلمون كابي بكر وعثمان
في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما تعذبون به فتكوى بها جباههم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين
كفروا وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي
قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله وقتاله
بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا
على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا
منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله
ويبقى عليه حقوق الادميين وبه احتج ابو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد
وقرئ يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين*
الاسلام وحده فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد
في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فان الله موليكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا
بولايته ونصرته ان ما غنمتم ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدا خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وروي
الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط
فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون
فان قلت كيف قسمة الخمس قلت عند ابي حنيفة رحمه الله انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم
وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء
اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا
في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه
ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند
الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي
القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى
الامام قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره قلت يحتمل
ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان
لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب
الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه
فياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان على ستة
لله ولرسوله سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس
وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى شيئا من الصدقة ولا يتيم موسر وعن
زيد بن علي رضي الله عنهما كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى

قال لليتامى والمساكين قال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسين في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي في غزوة
بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم امنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان
كنتم امنتم فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة
لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المومن والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعُبُد الطاغوت
بضمتين يوم الفرقان يوم بدر والجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الايات والملئكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على
ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية
على قلب الواو ياء لان بينهما وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى والاقصى فان قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو
فلم جاءت احديهما بالياء والثانية بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان
استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب اسفل منكم
يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل اسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا
فان قلت ما فايدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كان اسفل منهم قلت الفايدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو
وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم في مثل هذه الحالة ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك
امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا
وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في
المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا
وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى
نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه وتعالى من امر وقعة بدر ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين
احدى الطايفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على
ساق وكان ما كان ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد
وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمومنين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو
نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة
حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الايات
الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه ومغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي
مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه اذ يريكهم الله نصب باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم
اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينيك في منامك في رؤياك وذلك ان الله عز وعلا اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن
وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الراي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن
الله سلم اي عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم

الضمير ان مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم وقليلا نصب على الحال وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرويا رسول الله وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدّوا
ويثبتوا قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم
في اعينهم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور فان قلت الغرض في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في اعينهم قلت قد قللهم
في اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترءوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفلّ شوكتهم حتى يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم
وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في الاستيضاح الاية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم اخرا فان قلت باي طريق
يبصرون الكثير قليلا قلت بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم
ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة اذا لقيتم فئة اذا حاربتم جماعة من الكفار ترك ان يصفها لان
المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فَاثْبُتُوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به
داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر الله اشغل
ما يكون قلبا واكثر ما يكون همًّا وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزّعة عن غيره وناهيك بما في خطب امير المؤمنين في ايام صفّين وفي مشاهده مع
البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطايف المعاني وبليغات المواعظ والنصايح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم ولا
تنّازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي وتدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب ريحكم بالتاء والنصب
وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيته بالريح وهبوبها فقيل هبّت رياح فلان اذا دالت له الدولة ك
ونفذ امره ومنه قوله اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان فان الريح للعادي وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصّبا
واهلكت عاد بالدبور وحذّرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم باحد لخلافهم رسول الله من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم
هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهو بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف
علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوايح مكان القيان
فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم لله واذكر اذ زين لهم الشيطان
اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى
الفريقان نكص الشيطان وتبرّا منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت
قريش على السير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم
في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من كنانة فلما راى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص
قال له الحرث الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة
فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ
من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رئي يوم بدر فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت لو كان لكم
مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم اِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ بالمدينة والذين في قلوبهم
مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غرّ هؤلاء دينهم يعنون
ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوّون به وينصرونه من اجله فخرجوا وهم ثلثماية وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان
الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى

معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقري يتوفى بالياء والتاء والملئكة رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملئكة مرفوعة
بالابتداء ويضربون خبره عن مجاهد ادبارهم استاهم ولكن الله كريم يكني وانما خصوها بالضرب لان الخزي والنكال في ضربها اشد وبلغني من اهل الصين ان عقوبة الزاني
عندهم ان يصبر الرجل ثم يعطي الرجل القوي البطش شيا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربة واحدة فيجمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل
منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الاخرة بشارة لهم به
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او يقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت ايديكم
يحتمل ان يكون من كلام الله او من كلام الملئكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان
الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المومنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب
بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه الكاف في محل الرفع اي دابهؤلاء مثل داب ال فرعون ودابهم عادتهم وعملهم الذي دابوا فيه اي داوموا عليه وواظبوا
وكفروا تفسير لداب ال فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمة عند قوم حتى
يغيروا ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير ال فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم حال
مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة قلت كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واوليك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة الاصنام
فلما بعث اليهم بالايات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوء مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم
بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون كداب ال فرعون تكرير للتاكيد وفي قوله بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود
الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقي القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا
يومنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة
بالسلاح وقالوا نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم الذين عاهدت منهم بدل من الذين
كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة
الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية
فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرا ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب من قولهم
ذهبوا شذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرا ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد
في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه ولم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل
المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن بهم من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو*
قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد ويكون ذلك خيانة
منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال
كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوي وحاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا سبقوا فاتوا وافلتوا
من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقري انهم بالفتح بمعنى لانهم وكل واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل الا
ان المكسورة على طريقة الاستيناف والمفتوحة تعليل صريح وقري يعجزون بالتشديد وقرا ابن محيصن يعجزون وقرا الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الياء وفتحها
على حذف النون الخفيفة وقرا حمزة لا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا وانهم فحذفت ان كقوله ومن اياته يريكم البرق واستدل
عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل معناه

ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا لحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل فلا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراة
التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في
سبيل الله ويجوز ان يكون يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرا الحسن ومن ربط الخيل بضم البا وسكونها الخيل
ويجوز ان يكون من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سيل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال تشتري به الخيل فترابط في
سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون قري بالتخفيف والتشديد وقرا
ابن عباس ومجاهد تخزون والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة واخرين من دونهم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل
فارس وقيل كفرة الجن وجا في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن جنح له واليه اذا مال والسلم
تونث تانيث نقيضها وهي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقري بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الاية منسوخة
بقوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يري فيه الامام صلاح الاسلام
واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرا الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر
في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة فان حسبك الله فان محسبك الله قال جرير انى وجدت من
المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا والف بين قلوبهم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايات الباهرة لان
العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطوا على الضغينة في ادنى شي والقايه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد ياتلف فيهم قلبان ثم ايتلفت قلوبهم
على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وانشاوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع كلمتهم واحدث بينهم من التواد والتحاب
واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شا ويصنع فيها ما اراد وقيل
هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك سادتهم ورؤساهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي
يهيج الضغاين ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طايفتين كانت بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما اثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله
حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذلك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ومن اتبعك الواو بمعنى مع وما
بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك
من المومنين الله ناصرا ويكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المومنون وهذه الاية نزلت بالبيدا في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في
اسلام عمر رضي الله عنه وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم عمر فنزلت التحريض المبالغة
في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحركه
منه وقري حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال حركه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المومنين
ان صبروا غلبوا عشر امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب
كالبهايم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج
كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثماية راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك
وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتدا ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقري ضعفا
بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفا جمع ضعيف وقري الفعل المسند الى الماية بالتا واليا في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في

البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده
قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت وان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والماية الالف وكذلك بين مقاومة
الماية المائتين والالف الالفين قرئ المبني على التعريف اساري ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى
تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه
بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه عقيل ابن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية
تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هولاء ايمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس
ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من الزبد وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون
اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد ابن سيرين
كان فداؤهم ماية اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم
ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي عرض الدنيا
حطامها سمي لانه حدث قليل اللبث تريد الفداء والله يريد الاخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء
وقرا بعضهم والله يريد الاخرة بجر الاخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الاخرة على
التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياوه على اعدايه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يوخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا
وهم لا يعلمون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان
استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم
واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تاكيد الحجة عليهم بالنهي ولم
يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنايم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنايم واتقوا الله
فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنايم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب
على الحال من المغنوم او صفة لمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يوذن
لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم في ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يوتكم خيرا مما اخذ
منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الاخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين
الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل
فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي فقال العباس فانا اشهد انك صادق ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لا يطلع عليه احد الا

الله ولقد دفعته اليهما في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا ان ادناهم
ليتجر في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلوة
الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرئ مما اخذ منكم على البناء للفاعل
وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك من الاسلام بالردة واستحباب دين ابائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن
منهم كما رايتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله
هم المهاجرون والذين اووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم وهم الانصار بعضهم اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله واولو الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث
ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم
منهم بينكم وبينهم عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدؤون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم
كقوله في المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي ان
لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم يقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار
ولم يجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك والفساد زايدا وقرئ كثير بالثاء اولئك
هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الاية
واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل والذين امنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاءوا من
بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولو الارحام واولو القرابات اولى بالتوارث
وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القران وهو اية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة رحمه الله على توريث
ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق
ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا وبالله العون والتوفيق سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلثون وقيل تسع وعشرون اية
لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش
من النفاق اي تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين اي تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها
سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت باية التسمية كما في سائر السور قلت سال ذلك ابن عباس عثمان
رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله ولم يبين لنا اين
نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة
نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبي صلى
الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله واجاب
ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا
امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا
مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت
بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا محذوف اي هذه براءة من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس

بصلة كما في قولك برئت من الذين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدأ لتخصصها
بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح
مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة
بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما انتقض العهد اوجب الله النبذ اليهم
فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين وروي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا
الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين شاؤا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا انسلخ
الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل
مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما كان ببعض
الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل من
السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس
بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها
فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا فان قلت الاشهر الاربعة ما هي قلت عن الزهري ان
براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر
وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحجة في تلك
السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم
وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا
بالقتل وفي الاخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما يقال عمرو
معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان بمعنى الايمان والعطا بمعنى الاعطا فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى
والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس
قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج
الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر
قال يومك هذا خل دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة
تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو
الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن
وكافر حذفت الياء التي هي صلة للاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء اي بريء هو ورسوله او على محل
ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا

يقروها فقال ان كان الله بريا من رسوله فانا منه بري فلببه الرجل الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي قراته فعندها امر عمر بتعلم العربية فان تبتم من الكفر
والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفا فاعلموا انكم غير سابقين الله فلا فايتين اخذه وعقابه
فان قلت مم استثني من قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في
الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين ۝ يعني ان قضية التقوي ان لا يسوي
بين القبيلتين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة
عيبة رسول الله عليه السلام وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده ،، لاهم اني ناشد محمدا ،، حلف ابينا
وابيك الاتلدا ،، ان قريشا اخلفوك الموعدا ،، ونقضوا ذمامك المؤكدا ،، هم بيتونا بالحطيم هجدا ،، وقتلونا ركعا وسجدا ،، قال عليه السلام لا نصرت ان لم
انصركم وقري لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر
فاتم اليهم عهدهم انسلخ الشهر كقوله انجرد الشهر وسنة جردا والاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم
حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم و
بين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر
والحصر او كفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس رضي الله عنهما دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد
سلف لهم من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتدا لان ان من عوامل الفعل لا تدخل
على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقران ويتبين
ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شيت من غير غدر ولا خيانة
وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جا رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد
انقضا هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله
فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطايه
الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال
ان يثبت لهولا عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد
الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم
من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال ،، وخبرتماني انما الموت بالقرى ،، فكيف وهاتا هضبة وقليب
يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم
لا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان ،، لعمرك ان الك من قريش ،، كال السقب من رال النعام ،، وقيل الا الها وقرى ايلا بمعناه
وقيل جبريل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا
رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجوار وله اليل اي انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قال قيل لكل عهد وميثاق وسميت به
القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد
وابا القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعا لا مروة تزعهم ولا شمايل مرضية

تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران
والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الهوى والاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفين واطعمهم هم المعتدون
هم المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله فان لم تعلموا اباهم فاخوانكم ونفصل
الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها
وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات
الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان
والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في
دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة لانهم لا ايمان لهم وقرئ لا ايمان لهم اي لا
اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم
التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال
معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم
ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين
اي بين مخرج الهمزة والياء فتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن
محرّف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا
باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم
من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث
العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق
ان تخشوه فتقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما وبخهم
الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف
صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبكم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق
رسول الله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب
بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا
وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم
لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من
دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل فيّ يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين
ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل

مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميعها ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل
تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقته طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءة القران من تصريحك
بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم
على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطا
سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب
رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم
محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك
العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم فدل على انهم
قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد اي انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا
بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه
وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون
فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المسجد
الفه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة
العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه فان قلت هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان بالرسول
لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان
بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية
والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق
نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم
لاطماعهم في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى
اهتداؤهم داير بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء
ورفض الاغترار بالله السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن امن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين
واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام
افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من
الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا اعظم
درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون لا انتم والمختصون بالفوز دونكم وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به
لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع
موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا

وبقينا ضايعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقربايه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل
نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد
الناس عنه ويبغض في الله اقرب الناس اليه وقرئ عشيراتكم وقرئ الحسن وعشايركم فتربصوا حتى ياتي الله بامره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن
عقوبة عاجلة واجلة وهذه اية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس
واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان والعشاير والمال والمساكن وجميع
حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله احقر شي منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي
كانما وقع على انفه ذباب فطيره مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال ــ وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من الصرف لانه
جمع على صيغة لم يات عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فان قلت كيف عطف الزمان وهو يوم حنين على المواطن
قلت معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا
بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم
يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطايف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر
الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة الاف فيما ضامهم من امداد ساير العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا
قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قايلها رسول الله وقيل ابو بكر وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا
وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه
لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما
هي الا من ايات النبوة وقال يا رب ايتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة
فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملايكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله عليه السلام الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس
ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته بما رحبت ما مصدرية
والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب
السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانما ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم سكينة رحمته التي سكنوا بها وامنوا
وعلى المومنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله عليه السلام حين وقع الحرب وانزل جنودا يعني الملايكة كانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف
وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري ثم يتوب الله اي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروي ان ناسا منهم جاوا فبايعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يوميذ ستة الاف نفس
واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هولاء جاوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيا فمن كان بيده شي وطابت نفسه
ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم
فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس او لانهم
لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب
والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضا واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل

انما المشركون نجس جنس نجس وضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تحقيق نجس نحو كبد في كبد فلا يقربوا المسجد الحرام فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون
في الجاهلية بعد عامهم هذا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه واصحابه رحمهم الله
ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وساير المساجد عندهم وعند الشافعي رحمه
الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك رحمه الله يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم
من دخوله ونهي المشركين ان يقربوا راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان
خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله من عطاياه او من تفضله بوجه
اخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة
لفواته وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنايم وقرئ
عايلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عايلة ومعنى قوله ان شاء اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع
الا عن حكمة وصواب من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر لانهم
فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل فان يدينوا
دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين كذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لانها
طايفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان تراد يد المعطي او الاخذ فمعناه على
ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا
انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد
احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ واما على ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم
لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي توخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قايم والمتسلم جالس وان يتلتل
تلتلة ويوخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يوديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة رحمه الله ولا يسقط به خراج الارض واختلف
فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة رحمه الله تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابي وحربي الا على مشركي العرب وحدهم وروى الزهري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم
وعند الشافعي رحمه الله لا توخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة رحمه الله في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى
ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا توخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يوخذ في اخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له
كسب او لم يكن عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا
واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرا احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو
قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام ابن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك ابن
الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازورا وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم من ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما
جمع الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب فان قلت
كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى

مخترعة كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه موثر في القلب وما لا معنى له مقول
بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة
معه ولا شبهة حتى يوثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهون لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم
قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم
قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملئكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله
لانهم اقدم منهم وقري يضاهيون بالهمز من قولهم امراة ضهيا على فعيل وهي التي ضاهات الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقي قاتلهم الله اي هم
احقا بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يوفكون كيف يصرفون عن الحق اتخاذهم اربابا انهم
اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون
الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون
ما حرم فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه
للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح
عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هولاء
الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفيه بنفخه
ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او بغضت
الا زيدا قلت قد اجري ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفيوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره معنى اكل
الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يوكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله ياكلن كل
ليلة اكافا يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرايع والذين يكنزون يجوز ان يكون
اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز
ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله
سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال احرز
مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كانت تحت سبع ارضين وما
لم يود زكوته فهو الذي ذكر الله وان كان على ظهر الارض فان قلت فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة
قالها ثلثا فقالوا اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل
فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد
فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويودي عنه ما اوجب عليه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف
وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض عن القنية اختيار للافضل والادخل في الورع و
الزهد في الدنيا والاقتنا مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شي حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة الاف فما دونها فهو نفقة فما زاد فهو كنز كلام في

الا الفضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم
فهو كقوله وان طائفتان من المومنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها
لغريب وقيار كذلك فان قلت لم خصا بالذكر من بين ساير الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما دليلا على ما سواهما الا من
فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم ساير اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا قيل تحمى من
قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط
هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال
الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرا تحمى بالتاء وقرا ابو حيوة فيكوى بالياء
فان قلت لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان
يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب
يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالا
بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم
ومأخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم
كنزتموه لتستضر به انفسكم وتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم
كانزين في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو
رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة
حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل
النسي الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين
المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل اخيه او ابيه
لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسي فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس
ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه ولا تاثموا
فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان ذلك محرما في ساير الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول
مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها النسي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر
الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا اخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم وكانوا يحرمون من شهور العام
اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما
زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة
زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسي اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا
فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه ثم يقوم القابل فيقول ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسي زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا
الى رجسهم كما ان المومن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل

على ان الفعل لله عز وجل وقرئ الزهري ليوطيوا بالتشديد والنسي مصدر نساه اذا اخره يقال نساه نَسْيًا ونَسَاءً ونَسِيئًا كقولك مسّه مسًّا ومساسا ومسيسًا
وقرئ بهن جميعا وقرئ النسيّ بوزن النديّ والنسْيُ بوزن النهْي وهما تخفيف النسي فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرّم الله قلت معناه فيحلوا بمواطاة العدة
وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي اي لا يلطف
بهم بل يخذلهم وقرئ زَيَّنَ لهم سوءَ اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا اثاقلتم تثاقلتم وبه قرا الاعمش اي تباطاتم وتقاعستم وضمّن معنى الميل والا
والاخلاد فعدّي بالى ومعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هويه وقيل ملتم الى الدنيا بارضكم و
دياركم وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت فما العامل في حرف اذا وحرف الاستفهام مانعة ان يعمل فيه قلت ما دل
عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قايما وكان في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من
الطايف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورّى عنها بغيرها
الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الاخرة بدل الاخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الاخرة في جنب الاخرة الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين
حين اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها
شيا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضرّوه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كاين لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل
ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين
لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على ان ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا
في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار كما اسنده اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم
اخرجوه ثاني اثنين احد اثنين كقوله ثالث ثلثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق رضي الله عنه يُروى ان جبريل لما امره بالخروج قال من يخرج
معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا
فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك
باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا
يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه وقالوا من انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لساير الصحابة سكينته ما القي
في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه والجنود الملايكة يوم بدر والاحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر وكلمة الله دعوته
الى الاسلام وقرئ كلمة الله بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتدا وفيها تاكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون ساير الكلم خفافا وثقالا
خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة
او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعليّ ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج
وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد
الغزو فقلت يا عمّ لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبّه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن
المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكنّي الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا
باموالكم وانفسكم ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البرّ و
الفاجر اي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرا عيسى ابن عمر بعدت عليهم الشقة
بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد الا ما توارى الصفايح بالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد

في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله
لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة
او استطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا
بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا
والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لكان سديدا يقال
حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه اخطات وبئس ما فعلت ولم اذنت
لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين لك من صدق في
عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يومر بهما اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستاذنك ليس من عادة المؤمنين
ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وسلم ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان
يجاهدوا في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستاذنك يعني المنافقين
وكانوا تسعة وثلثين رجلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر وقرئ عدة بمعنى عدته فعل بالعدة ما
فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعده باضافة فان
قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانهم قيل
ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل
اقعدوا جعل القاء الله في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله لهم في القعود
فان قلت كيف جاز ان يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم
ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فان قلت فلم خطا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة
قلت لان اذن رسول الله لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه وكان عليه ان يتفحص عن
كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه
لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله قامت عليهم الحجة ولم يبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث
هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فان قلت ما معنى قوله مع القاعدين قلت هو ذم لهم وتعجيز والحاق
بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف
الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام
غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء وكان استثناء متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال
الفساد والشر ولا وضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولا وضعوا
ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولارقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا اسرعت وارقصتها قال والراقصات
الى منى فالغبغب وقرئ ولا وفضوا فان قلت كيف خط في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف قلت كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع
قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى فنحوه او لا اذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون
ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين.

ويطيعونهم لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ اي العنت ونصب الغوايل والسعي في التشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه
وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل غزوة تبوك وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ ودبروا لك
الحيل والمكايد ودوروا الاراء في ابطال امرك وقري وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه ايذن لي في
القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي و
عيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقري ولا
تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى محيطة بالكافرين
يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الان لان اسباب الاحاطة معهم وكانهم في وسطها إِنْ تُصِبْكَ في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان
تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى في يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر
والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا
عن رسول الله قرئ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرا يصيّبنا بتشديد اليا ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعّل لانه من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم
يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعّل منه يصوّب الا ترى الى قولهم صوّب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله اسهمي الصايبات والصيّب
واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو
مولانا اي الذي يتولاه ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ وحق المومنين ان لا يتوكلوا على غير الله
فليفعلوا ما هو حقهم الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى
السوءيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السما كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب من ايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا
بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او
كرها نصب على الحال اي طايعين او مكرهين فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله
لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اساتِ الينا او احسنتِ فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا
وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان *
وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القايل اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم يستغشك في الود وكذلك
المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل
اهو ترك رسول الله تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون ام هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او
كرها معناه طايعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طايعين
من غير اكراه من روسايكم لان روساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين
تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انك تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو انهم فاعل منع وهم
وان تقبل مفعولاه وقري ان تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرا السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل
لله عز وجل كسالى بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون لصلوتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة
عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمومن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل

من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المومن الى نفسه فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طايعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون
الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله او من روسايهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار
الاعجاب بالشي ان يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله انما اعطاهم ما اعطاهم
للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالافات والمصايب وكلفهم الانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم
في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون
يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية ملجا مكانا يلجاون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة او مغارات او غيرانا
وقري بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشي واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب
اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا اي نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقري مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون
فيه انفسهم وقرا ابي بن كعب متدخلا وقري لوالوا اليه لالتجاوا اليه يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شي من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام
وقرا انس يجمزون فسيل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المولفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي
الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين
فقال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود ع
راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقري يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك للتثقيل والبنا على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم
وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يوميذ بتوفير الغنايم عليهم فضجر المنافقون
منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجوا السخط جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من
الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيوتينا رسول الله اكثر مما اتانا اليوم انا
الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون انما الصدقات للفقرا قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه
قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب
ابي حنيفة رحمه الله وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك وعن سعيد بن جبير لو نظرت
الى اهل بيت من المسلمين فقرا متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي رحمة الله عليه لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية
وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمولفة قلوبهم اشراف من العرب كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيا منها حين كان في المسلمين قلة والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع
الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقرا
الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقرا معناه
فرض الله الصدقات لهم وقري فريضة بالرفع على تلك فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخرة قلت للايذان بانهم ارسخ في استحقاق
التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعا فنبه على انهم احقا بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او
الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعزبة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر
والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت فكيف وقعت هذه الاية

في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا
باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول
كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن خير كقولك رجل صدق
تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ودل
عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل
من المومنين الخلص المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن امن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا
يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه
بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك
فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا نحن اتيناه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم
وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدأ محذوف وخير لكم كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء خطئكم
وقرأ نافع بتخفيف الذال فان قلت لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المومنين باللام قلت لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء
وقصد السماع من المومنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين ما ابناه عن الباء ونحوه فما امن لموسى الا ذرية من قومه انومن لك واتبعك الارذلون
وامنتم له قبل ان اذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم ياذن لكم فحذف لان قوله اذن خير
لكم يدل عليه ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويوكدون معاذيرهم بالحلف
ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مومنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله
ورضا رسوله فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من
الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه توكيدا ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف
تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي
فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمومنين وفي
قلوبهم للمنافقين وقيل الضماير للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها
تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز انزال السورة وان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون
اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور
الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك
ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين
فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد
وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم
بعد اظهاركم الايمان ان يعف عن طايفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه
او ان يعف عن طايفة منكم لم يوذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طايفة بانهم كانوا مجرمين موذين لرسول الله مستهزئين

وقرا مجاهد ان تعف عن طايفة على البنا للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما يقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى
المعنى كانه قيل ان ترحم طايفة فانث لذلك وهو غريب والجيد قراة العامة ان يعف عن طايفة بالتذكير وتعذب طايفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طايفة يعذب
طايفة على البنا للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المومنين وتكذيبهم في قولهم يحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم
منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المومنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم شحا
بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو
التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله
صلى الله عليه وسلم للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم
عذابها وانه لا شي ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين
كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملايكة المكرمين ولهم عذاب ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دايم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم
معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان
اطلع على اسرارهم الكاف محلها الرفع على انتم مثل الذين من قبلكم او النصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا
ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما
قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فايدة
في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فايدته
ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهايهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة وان يخسس
امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم
ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا
والاخرة نقيض قوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والموتفكات مداين قوم لوط وقيل قريات
قوم لوط وهود وصالح وايتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ظلموا انفسهم
حيث كفروا به فاستحقوا عقابه بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي توكيد الوعد
كما توكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطا ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف نوتيهم اجورهم عزيز
غالب على كل شي قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللولو والياقوت الاحمر
والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدردا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين
ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهدا يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته
ورضوان من الله اكبر وشي من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر
اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراه من النعم وانما يتهنا له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد
لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شي مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح
وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد الله او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس
فوزا وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك

قالوا واي شي افضل من ذلك قال ادخل عليكم رضواني فلا يسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم
وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود رضي الله عنه ان لم يستطع بيده فلسانه فان
لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبري منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها
اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين وينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما
يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار وبلغ
ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا
فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام
وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار
بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك وسمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال
اليكم اليكم يا اعداء الله وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا
وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنايم
وقتيل الجلاس مولى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الاية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والاخرة بالقتل والنار
روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك
بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنيمة فنمت كما تنمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا
قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا
عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان وقري لنصدقن ولنكونن
بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا
فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق
والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقري يكذبون بالتشديد والم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه سرهم ونجويهم ما اسروه من النفاق
والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز
ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجويهم ويلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث في الصدقة فجاء عبد الرحمن
بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف درهم فاعطيت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت امراته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بماية وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري
بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا
طاقتهم وقري بالفتح والضم سخر الله منهم كقوله الله يستهزي بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سال عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا
صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على سبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا هذا

الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجي به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم
للتكثير قال علي بن ابي طالب لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واخبرهم
باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي
فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ولكنه خيل بما قال اظهار الغاية رحمته ورافته على من بعث اليه كقول ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي الرحمة
والرافة لطف لامته ودعا لهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استاذنوا رسول الله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم
كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن الغزو وخلاف رسول الله اي خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة
خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم تعريض بالمومنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك
المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المومنين من باعث الايمان وداعي الايقان قل نار جهنم اشد حرا استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب
ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم مسرة احقاب تلقيت بعدها مساة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها
مساة احقاب معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في
النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وانما قال الطايفة منهم لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون
كلهم منافقين فاراد بالطايفة المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك اول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرا مالك بن دينار مع الخلفين
على قصر الخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة المرات قلت اكثر اللغتين هند اكبر
النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امراة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امراة واول مرة واخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه لياتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب
اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فساله
عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلوة عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل فان
قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا لم
يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر رسول الله
له ذلك واجابة له الى مسالته اياه فقد كان عليه السلام لا يرد سايلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي
انه قال له اسالك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان
وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيا واني اومل من الله ان يدخل في الاسلام
كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف
لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطا قلبه لسانه وراه حتما عليه فان قلت كيف جازت الصلوة
عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس ما ادري ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كاين موجود
لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه

ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به يفتقر الى فضل عناية به لاسيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشي الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حالاته ويتخلص
اليه وانما اعيد هذا المعنى تقوية فيما يجب ان يحذر منه يجوز ان تراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القران والكتاب على كله
وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان هي ان المفسرة اولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين
لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو
ومن هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق
اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون
بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا
وان بنا جهدا فايذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني
الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال من تعذّر بمعنى اعتذر
وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذّرون
والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا
الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرئ كذّبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار الضعفاء الهرمى
والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض
فيهما كما يفعل الموالي الناصح لصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم فان قلت ما محل قلت
قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمر كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين في التخلف
الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤن
وهم ستة نفر من الانصار تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك
من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز ان لا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا فان قلت رضوا ما موقعه قلت
هو استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوك وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم يعني ان السبب في استيذانهم
رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين
فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق
فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبانا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام
باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه
وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل
لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار
واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم وماويهم جهنم يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم لترضوا عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم
لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته واجلها وقيل انما قيل ذلك
لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم

حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل هم عبد الله بن ابي يحلفون ان لا يتخلف ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم
وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرايع والاحكام ومنه قوله عليه السلام
ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه مغرما غرامة وخسرانا والغرامة
ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دول الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم فيتخلص
من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما
قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائر كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة
عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو
للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى وقال الله تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات
الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات
الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها
وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن
الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين
امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القران وقرا عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين
اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ايتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة واخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم
واخر الانفال والذين امنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقروه بالواو فقال من اقراك فقال ابي فدعاه فقال اقرانيه رسول الله وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال
صدقت وان شيت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم واوينا وطردتم ومن ثم قال عمر رضي الله عنه لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون
بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي الله عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمه الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة
ابن كثير وفي ساير المصاحف تحتها بغير من وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة
عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان تكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف
محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدا او صفة لمنافقون فصل بينهما وبينه بمعطوف على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه
من مرد فلان على عمله ومرد عليه اذا درب وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق
فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون
لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين هما القتل وعذاب القبر
قيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم الى عذاب عظيم اي عذاب النار اعترفوا
بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر
واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم حين بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله
هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت

ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا خروجا الى الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل
واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به
واذا قلبته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم
فان قلت كيف قيل ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرى تطهرهم
من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرا وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المونث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة
فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم وعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان
يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرى ان صلاتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمين قلوبهم
بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمايرهم من الندم والغم لما فرط منهم قرى الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان
احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص
والتاكيد وان الله من شانه قبول توبة التايبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها
اليه وقل لهولاء التايبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هولاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم
فنزلت فان قلت فما معنى قوله وياخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السايل والمعنى انه يتقبلها
ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة قرى مرجون ومرجون من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجية يعني
واخرون من المتخلفين موقوفون الى ان يظهر امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان
احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب
وارجوا لهم الرحمة في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سايرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون
على ساير قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا
نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله عليه السلام يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى
الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة سلاح فاني ذاهب الى قيصر واتٍ بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى
جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال
اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل عن غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي
وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة
ومات ابو عامر بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المومنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في
مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على
رسول الله وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلوة في
مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء او سمعة فان اصله ينتهي الى المسجد
الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه فان قلت

فان قلت الخلط ... قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما

... ان عملكم لا يخفى خيرا كان ... على الله وعباده كما رايتم ... والثانية لمن يراد ...

والذين اتخذوا ما محله من الاعراب قلت محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا
كقوله والسارق والسارقة فان قلت بم يتصل قوله من قبل قلت اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هولاء بالتخلف ان اردنا ما اردنا ببنا هذا المسجد الا الخصلة
الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه
ايام مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصبا فضرب بها الارض وقال هو
مسجدكم مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب
مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امومنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمومنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضا
فقالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا نعم قال عليه السلام مومنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله
عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضو وعند الغايط فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الما فتلا النبي صلى الله
عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقري ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الما
اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن اخرهم فان قلت ما معنى المحبتين قلت محبتهم التطهر
انهم يوثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشي المشتهي له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه قري اسس بنيانه واسس بنيانه على
افعال البنا للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واس بنيانه والمعنى
افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقا وهو الباطل
والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى فان قلت فما
معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهاير مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز
فجي بلفظ الانهيار الجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف
الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالما وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهاير وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل
كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شايك وصايت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل
على حقيقة الباطل وكنه امره وقري جرف بسكون الرا فان قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين قلت قد جعل الالف
للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فري الدخان يخرج
منه وروي ان مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيومهم في مسجدهم فقال
لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه
كنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرون من القران شيا فعذره وصدقه وامره بالصلوة بقومه ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين
وانما حملهم على بنا ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم
عليهم تصميما على النفاق ومقتا على الاسلام فمعنى قوله لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زايد على شكهم ونفاقهم لا يزول
وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزا فحينيذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز
ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كاين منه بقتلهم او في القبور او في النار وقري يقطع بالياء
وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع ويقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرا الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله

ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم مثل الله
اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشرى وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا
هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي
ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو
يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يُقَاتِلُونَ فيه معنى الامر كقوله يجاهدون في سبيل الله
باموالكم وانفسكم وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس وَعْدًا مصدر موكد واخبر بان هذا الوعد الذي وعده
للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القران ثم قال ومن اوفى بعهده من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه
الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ التَّائِبُونَ رفع على المدح اي
هم التائبون يعني المومنين المذكورين وتدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا
صفة للمومنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدا خبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل
هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدا وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال
وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبروا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا
بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا
واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل
امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار فلم ياذن لي ونزلت وهذا اصح
لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا اخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر
ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته مِن بَعْدِ ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك قرا طلحة وما
استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية إِلَّا عَن موعدة وعدها اياه اي وعدها ابراهيم اياه وهو قوله لاستغفرن لك وتدل عليه
قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها اباه فان قلت كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان
جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لاستغفرن لك ما
لم انه عنه وعن الحسين قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لابائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رايت رجلا يستغفر
لابويه وهما مشركان فقلت له فقال اليس قد استغفر ابراهيم فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن
يومن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اواه فعال من اوه كلال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر
التاوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار
للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محذور لا يواخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم
وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يواخذون بشرب الخمر ولا بيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان
لعذر من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الاية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض
محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف
تَابَ اللهُ على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمومنين على التوبة وانه ما من مومن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار

حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله فان صفة التائبين الاوابين صفة الانبيا كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة
الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق
استعملت الغداة والعشية واليوم ، غداة طفت علما بكر بن وايل ، عشية قارعنا جذام وعاجت صدور الخيل نحو تميم ، اذا جا يوما وارثي يبتغي الغنى
وعاجت صدور الخيل نحو تميم ، والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير
المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الما وفي عسرة من الما حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها
وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين
من المومنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلثة كعب ابن مالك ومرارة الربيع وهلال
ابن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزوة وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة
وخلوف الفم وقرا جعفر الصادق خالفوا وقرا الاعمش على الثلثة المخلفين بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا
يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجا من سخط
الله الا الى الاستغفار ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم وتثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت
منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المومنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه
فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن
لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لاخر الا نفسه
لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحيوة لك والله لاكابدن الشدايد حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المومن من
يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسنا
فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والما البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وما بارد وامراة حسنا ورسول الله في الضح والريح
ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة
فكان ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب
بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا
ايها الثلثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نسانا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بندا
من ذروة سلع ابشر يا كعب ابن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي
وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمين فقام الي ابو طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها
لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه
سيل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه مع الصادقين وقرئ من الصادقين
وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
وقيل هم الثلثة اي كونوا مثل هؤلا في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم

وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه
ثم لا ينجز اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على الباسا والضرا ويكابدوا معه الاهوال
برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدايد ما يلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض
في شدة وهول وجب على ساير الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا ويكون اخف شي عليهم واهونه فضلا ان يربؤا
بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة
الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته كانه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شي من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون
مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا
ولا يرزؤنهم شيا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان
يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام اخر وطاة وطيها الله بوج والموطي اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان
مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطوه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا موكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل
ما يسوؤهم وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الاية
استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله ان المدد القادم بعد انقضا الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه
وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية وزياد بن لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسماية نفس فلحقوا
بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي رحمه الله لا يشارك المدد الغانمين وقرا عبيد بن عمير ظما بالمد يقال ظمي ظماة وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة
ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين
جبال واكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي
غيرك الا كتب لهم ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحايفهم لاجل الجزاء اللام
لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يود الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة
ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طايفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة
منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه
انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد
والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو دا الضراير بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لاخر او شرذمة جثوا
بين يديه وتهالكه على ان يكون موطا العقب دون الناس كلهم فما ابعد هولا من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم يحذرون
ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه اخر وهو ان رسول الله عليه السلام كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين
من الايات الشداد استبق المومنون عن اخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طايفة
الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجهاد بالحجاج اعظم اثرا من الجهاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير
فيه للفرق الباقية بعد الطوايف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من
العلوم وعلى الاول الضمير للطايفة النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب
فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة

والنضير وكوكو وخيبر وقيل الروم لانهم يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم
يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغُلظة كالضغطة و
الغَلظة كالسخطة ونحوه اغلظ عليهم ولا تعتنوا وهو يجمع الجراة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين
الله مع المتقين بنصرهن اتقاه فلم يتران على عدوه فمنهم من يقول اى من المنافقين من يقول لبعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزا بالمومنين
واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتدا، وقرا عبيد بن عمير ايكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره
ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا لانها ازيد اليقين والثبات واثلج للصدور او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان
يقع على الاعتقاد والعمل فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف
عقابهم قرئ او لا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون
ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرة وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود
مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يريكم من احد من المسلمين
لتنصرفوا فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يريكم من احد
وقيل معناه اذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم
قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتايج بقوله عزيز عليه ما عنتم
اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه
والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمومنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفاطمة وعايشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله في قوله رؤف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك
فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم فلا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم بالرفع عن ابن عباس رضي الله العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب
اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا
علي ومعهما سبعون الف صف من الملايكة سورة يونس مكية مائة وتسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك ايات الكتاب
اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك
حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرا ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا
خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا
وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس
في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحي الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد
رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم
لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب
ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم و
لا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس
ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وان لهم الباء محذوف قدم

صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به محمد لسحر ومن قرا لساحر فهذا اشارة الى رسول الله وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره اخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعهما في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه ووحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطا فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد بقوله اليه مرجعكم وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدئ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من ابدا ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست جائيا ولا ذاهبا الا على رقيب وقرئ حق انه يبدئ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين امنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق عاقي والضياء اقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ نفصل بالياء خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يا ملون حسن لقائنا كما يامله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة واثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الاخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت ولقد دلت هذه الاية على ان الايمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعويهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما

عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية واخر
دعويهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى تحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة
للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد
ونصب الحمد واصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير تعجيلا لهم موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان
استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقوله فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا
واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون
لقاءنا ومعناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم يعمهون اي فنمهلهم ونفيض
عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر
هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل
النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد
ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء
واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد
له كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله
بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات لما ظلموا ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم
بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون
حقا تاكيد لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة
في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناهم لننظر كيف
تعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر
على الله تعالى وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه غاظهم ما في القران
من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط
ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان اية عذاب اية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الالهة
واما الاتيان بقران اخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي
وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت اية تبعت
النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت
اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القران حتى قالوا ائت بقران غير هذا قلت بلى ولكنهم لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا
ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد
منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقران غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقران من جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يستقيم لي وما يمكنني ان ابدله
قلت يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال

قران بقران ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه اخر واما اقتراح التبديل والتغير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل
فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترايه على الله لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا
بمشية الله واظهاره امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشا في بلد فيه علماء فيقرا عليكم
كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا
الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم
به ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرا الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم
به ورواه الفراء ولا ادراتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبات بالحج ورثات الميت وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الاترى
ان الالف اذا مسته الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال
وتكذبونني وعن ابن كثير ولادريكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولا علمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من
يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون ساير الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرى عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني
متعاطيا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه
تحت قولهم ايت بقران غير هذا من اضافة الافتراء اليه ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون
تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء وما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا يقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها
لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطايف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا
ونايلة وكانوا يقولون هولاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بكونهم
شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس
مخبر عنه فان قلت كيف انبؤا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبؤا به باطل غير منطو تحت الصحة
فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرى اتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف
معدوم يشركون قرى بالياء والتاء وما موصولة او مصدرية عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على
ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد ادم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة سبقت من ربك وهو
تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان يكون هذه الدار دار تكليف وتلك
دار ثواب وعقاب وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا اية من الايات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الايات العظام المتكاثرة
التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقران وحده اية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الايات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول
كانه لم ينزل عليه اية قط حتى قالوا لولا انزل عليه اية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص
بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الايات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين
لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الايات سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في ايات الله
ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرى جوابها وهي للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم
خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله اسرع مكرا قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم
من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو

موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ
يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين مطرنا بنوء كذا
قرا زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو
بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة
وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا قلت
بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم
منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسبة قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي والاحمري
ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلكي ايضا لان
الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في
الهلاك مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول يبغون في الارض يفسدون
فيها ويعيثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى وهو
استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة قرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب
فان قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان المتاع خبر المبتدا الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم
والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع
الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على انه هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ولا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل
الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المامون
يتمثل بهذين البيتين في اخيه يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وعن محمد بن كعب ثلاث
من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال
بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا اخذت الارض
زخرفها على التمثيل وازينت وتزينت الارض بخضرتها كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها
وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اي صارت ذات
زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات
بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم
يلبث والمضاف في هذه المواضع لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كان لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه
قرا على المنبر كان لم تتغن من قول الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل كان لم تغن آنفا دار السلام الجنة اضافها
الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي
ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون الحسنى
المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهو التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن

عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة
ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى الله وجاءت
بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم
لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله
ترهقها قترة وترهقهم ذلة فان قلت ما وجه قوله والذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا
على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان
يجازي سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان
المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء من الله من
عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمومنين مظلما حال من الليل ومن قرا قطعا بالسكون
من قوله بقطع من الليل جعله صفة ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل
فيه قلت لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل
في من الليل مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم
على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او فباعدنا
بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر
خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا واطعتموهم ان كنا هي المخففة من
الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل
فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان
تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه
قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا
فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية
بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرا في صحيفتها ما قدمت من خير
او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا
وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون
وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة من السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر
برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة
العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الافات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير
امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال ذلكم اشارة الى من
هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن
تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك

١٢٥

كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه وانهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا
يومنون تعليل بمعنى لانهم لا يومنون فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق
لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادّا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته
عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم يقال هداه
للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وقري لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد
الدال والاصل لا يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقري الا ان يهدّى من هدّاه وهدّاه
للمبالغة ومنه قولهم تهدّى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم
وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي
الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله
وقيل معناه امن لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من
حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير
مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة وانها شفعاء عند الله
الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الاباء وقري تفعلون بالتاء وما كان هذا القران افترا من دون الله
ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقري
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب
وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم فان قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت هو داخل في حيز الاستدراك
كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون
من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ام يقولون افتراه بل يقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير
لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية
والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقري بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم
من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان ياتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه
ان كنتم صادقين انه افتراه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقران وفاجاوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه
على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم كالناشي على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا يوافق ما نشا عليه
والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد
لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ما معنى التوقع في قوله ولما ياتهم تاويله قلت معناه انهم كذبوا به على البديهة
قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليوذن انهم علموا
بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب
كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الاباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم

شاقوه ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله ولم ياتهم تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب ام صدق يعني انه كتاب معجز من
جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره
بالمغيبات وصدقه وكذبه ومنهم من يؤمن به اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال
اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرا منهم و
خلهم فقد اعذرت كقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة باية السيف ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرات القران
وعلمت الشرايع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال اتطمع انك تقدر على
اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا
فقد تم الامر واتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد
البلاء يعني انهم في الياس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصاير وقوله افانت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله
عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا يظلم الناس شيا
اي لا ينقصهم شيا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني
ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه الا ساعة من
النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من
القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت اما الاولى فحال منهم اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث
الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان تكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا
قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قايلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما
كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك
بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الاخرة فان قلت الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت
الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرا ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد
شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد و
يدعوهم الى دين الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول وعذب
المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به اذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم متى هذا الوعد استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة
او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من ذلك كاين فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند
الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرا ابن سيرين فاذا جاء اجالهم بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان
قلت هلا قيل ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نايمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى
التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله نهارا معناه في وقت انتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نايمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب
والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول
شديد يستعجلون منه ويجب ان يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم

لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطا فيه فان قلت فهلا قيل ماذا يستعجلون منه
قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز
ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل
منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن
اهل القرى او امن اهل القرى آلان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون
لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلان
ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرا الاعمش آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه
باطل وذلك ان اللام للجنس وكانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود اي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد
في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة
ظلمت صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال
فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه
ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من
فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها
اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشي لخالصه وفيه تهكم بهم وباخلاصهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من
قولهم اسر الشي واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه
المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر
كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون قد جاءتكم موعظة اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وهو شفاء اي
دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن امن به منكم اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا
والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه
والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئهما
فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة فليهتموا بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئهما فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل
والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي وعنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا وهو راجع الى ذلك
وقرئ مما يجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام
ورحمته ما وعد عليه ارايتم اخبروني وما انزل الله ما في موضع النصب بانزل او بارايتم في معنى اخبرونيه فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزل الله رزقا حلالا
كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا آلله اذن لكم متعلق
بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز
ان يكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال عنه من الاحكام
وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شي جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر
على الله يوم القيامة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شي ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة

وهو وعيد عظيم حيث ابهم امرهم وقرا عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيمة وجي به على لفظ الماضي لانه كاين فكان قد كان
ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه
وما تكون في شان ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير
في منه للشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر
تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع
فيه وما يعزب قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على
الابتداء ليكون كلاما براسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب
مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السماء ان تقدم
على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لام ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو
حكمه حكم التثنية اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيبة وعن ابن
عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء
يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال
يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية الذين امنوا نصب او رفع
على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المومنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المومن وعن عطا لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملايكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل
عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم
واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي ذلك
اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال
امرك وساير ما يتكلمون به في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا
لا يملك احد شيا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرا ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على
صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون وما يعزمون
عليه وهو مكافيهم بذلك من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملايكة والثقلان وانما خصهم ليوذن ان هولاء اذا كانوا له وفي ملكته
فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل
على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع من شركاء اي وما يتبعون
حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا الظن اعتقادهم انها شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون
ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون

الله شركاء اي وله شركاوهم وقرا ابن ابي طالب تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملايكة
والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب
الى الغيبة فقال ان يتبع هولاء المشركون الا الظن لا يتبعون ما يتبع الملايكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق
بها ان يتوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيا يبصرون فيه مطالب ارزاقهم
ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من
يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا
ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما
نفى عنهم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى
عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه متاع في الدنيا اي
افتراوهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المويد بعده كبر
عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان
وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه جنتان بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري
لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين
قايما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل اغدون يوما وامري مجمع والواو
بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركايكم وقرا الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام
كما يقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان
قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدوني فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم
الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال
ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما
كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب
والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام فلا غمة في فرايض الله اي لا تستر ولكن يجاهر
بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرون به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه
وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي
بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري
ونصيحتي فما سالتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي
يثيبني به في الاخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون على تعليم الدين شيا ولا يطلبون
به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في
سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا لغير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في اخر المدة المتطاولة
كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلايف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم

وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا
عليهم السلام فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم
عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث
اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف
اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة
ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي اثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا
فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهارون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر
الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله
اتقولون للحق اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض
ما يسوؤه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه
قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان تكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية
لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل
اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه اباءنا يعنون عبادة الاصنام ويكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر
ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه
الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض
وما تريد ان تكون من المصلحين وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يطبع ويكون لكما الكبرياء بالياء ما جئتم ما موصولة واقعة
مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله وقرئ السحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي
اي شيء جئتم به اهو السحر وقرا عبد الله ما جئتم به سحر وقرا ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لما اتيت به سحر ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة
على الشعوذة لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره
بمشيئته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الاباء فلم
يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن ال فرعون واسية امراته وخازنه وامراة
خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله وملائهم قلت الى فرعون بمعنى ال فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب ياتمرون له
ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم و
يدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية
ان كنتم امنتم بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها
له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما
قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد
ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا
او فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا تبوءا المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا

من بيوتها مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون اليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه
يصلون الى الكعبة كانوا في اول الامر مامورين بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة كيلا يظهروا عليهم فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المومنون على
ذلك في اول الاسلام بمكة فان قلت كيف نوع الخطاب فثني اولاً ثم جمع ثم وحد اخراً قلت خوطب موسى وهارون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما بيوتاً
ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه
السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيماً لها وللمبشر بها الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من فسطاط
مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الامر
كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضاً مكرراً ورد عليهم النصائح والمواعظ زماناً طويلاً وحذرهم عذاب الله وانتقامه
وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين وراهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفراً وعلى الانذار الا استكباراً وعلى النصيحة الا نبوّاً ولم يبق
له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه
عليهم وافراط مقته وكراهته بحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم
بانه لم يبق فيهم وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم وليكونوا يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا
ضلالاً وليطبع الله على قلوبهم فلا يومنوا وما علي منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول
نصيحته وحرداً عليه لا ان يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان فلا يومنوا جواب الدعاء الذي هو
اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على العاقبة وقوله فلا يومنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشي وانك اتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون
يومن ويجوز ان يكونا جميعاً يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فَاسْتَقِيمَا فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة
في الزام الحجة فقد لبث نوح في قومه الف عام الا قليلاً ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى عليه السلام بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون
من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهاً بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وقرا الحسن وجوّزنا من اجاز
المكان وجاوزه وجوّزه فليس من جوّز الذي في بيت الاعشى واذا تجوّزها حبال قبيلة لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوّزنا بني اسرائيل في البحر كما
قال كما جوّز السكي في الباب فيتق فَأَتْبَعَهُمْ فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن وعدوّاً وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على
الاستيناف بدلاً من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلث مرات في ثلث عبارات حرصاً على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطا وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط
وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكاليف آلْآنَ اتومن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك وقيل قال ذلك
حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال آمنت اخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على
الكافرين في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من خشية ان يدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احدهما ان الايمان
يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر مِنَ الْمُفْسِدِينَ من
الضالين المضلين عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون روي ان جبريل اتاه بفتيا ما
قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج
عن سيده الكافر نعماءه ان نغرقه في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك وقيل نلقيك بنجوة من

الارض وقري ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي في
الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معديكرب
اعاذل بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرا ابو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم
هوي باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لمن خلفك اية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في
انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل
حتى عاينوه وكان مطرحه على ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك اي لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان
ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة
يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترات عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقري لمن خلقك بالقاف اي ولتكون لخالقك اية كسائر اياته
ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق و
لا يموت اية من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما
اختلفوا في دينهم فما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرؤا التورية وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه
تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان
انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت في شك مما
انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله
فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسل الذين يقرؤن الكتاب والمعنى ان الله عز وجل
قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القران وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان
يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمباحثة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما
انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسالتهم فضلا عن غيرك والغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالايات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية
فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله ويجوز ان يكون على
طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام
عند نزوله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب امته ومعناه فان
كنتم في شك مما انزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك
فسل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وقري فسل الذين يقرؤن الكتب حقت عليهم كلمة
ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا
كانت قرية فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ
بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقري ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد
اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس

وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم
مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا
بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد
بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان
والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع
عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي
لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل
بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه اكراههم و

لا يختلفون فيه الاترى الى قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين يعني انما يقدر على صح

اضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده
لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن
الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم
المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاء وقرئ ونجعل بالنون ماذا في السموات والارض
من الايات والعبر وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ
وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام
محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين امنوا ومن امن معهم كذلك
ننجي المومنين مثل ذلك الانجاء ننجي المومنين منكم ونهلك المشركين حقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها الناس يا اهل مكة
ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني
لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى
فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المومنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحي الي في كتابه وقيل معناه انكم
في شك من ديني ومما انا عليه ءاثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون
فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وانّ وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك
الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا يخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل
المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا
يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه
ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم
وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى
عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأنّ سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم
اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك

بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف
بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته
فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما
يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة
بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشية مشية المصلحة قد جاءكم الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع
باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار
الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واصبر على دعوتهم واحتمال اذيتهم
واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى
تلقوني يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله
عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال
قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا
حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان ظاهر الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون فمنظروكم
الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون
بسم الله الرحمن الرحيم احكمت اياته نظمت نظما رصيفا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف
اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله ايات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير
ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام
والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص
وقري احكمت اياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها
التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا محذوف
واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق
حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور الا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة لان
في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان
يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة
غير الله انني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه
من عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا
والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة
الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا
يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف
بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء وكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقري فان

تولوا من ولي يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشي استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه
ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمومنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب
بعصاك الحجر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون يريدون الاستخفا حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى
كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا
وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفا والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن
شريق وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث وكان يعجب رسول الله عليه السلام مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر
وقيل نزلت في المنافقين وقري تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بنا مبالغة وقري بالتا والياء وعن ابن
عباس لتثنوني وقري تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات
او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقري تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقري تثنوي بوزن ترعوي فان قلت
كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد و
المستقر مكانه من الارض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها
ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وكان عرشه على الما اي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الما وفيه
دليل على ان العرش والما كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الما على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما
ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم
ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختيار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي
لاحوالكم كيف تعملون فان قلت وكيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لان النظر طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم
احسن وجها واستمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المومنين هي التي تتفاوت الى حسن
واحسن فاما احوال المومنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح قلت الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض
الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله قري ولين قلت انكم بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ايت
السوق انك تشتري لحما وانك تشتري لحما بمعنى علك تشتري ولين قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا ان هذا
الا سحر مبين بتوا القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به
او اشاروا بهذا الى القران لان القران هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقري ان هذا الا ساحر
يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل العذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة الى جماعة من الاوقات
ما يحبسه ما يمنعه النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزا ويوم ياتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم
معمول خبرها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزون العذاب
الذي كانوا يستعجلون وانما وضع يستهزون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزا والمعنى ويحيق بهم الا انه جا على عادة الله في اخباره
الانسان للجنس رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤوس شديد الياس من ان يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة
قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نسا له ذهب السيات

عني اي المصايب التي ساتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس بما اذاقه الله من نعمايه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا فان عادتهم ان نالتهم
رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا كانوا يقترحون عليه ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت اية واحدة مما جاء به كافية
في ارشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقران ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات وكان يضيق صدر
رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم لقوله فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضايق به صدرك بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل
عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك
وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل
امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضايق قلت
ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجودة الثابتين المستقرين
فاذا اردت الحدوث قلت سايد وجايد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة
واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله يعني امثاله
ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم
وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب
فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن
النظم والبيان وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمومنين لان رسول
الله والمومنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله كقوله فان شئت حرمت النساء
سواكم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة
لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم
اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون متابعون الاسلام بعد هذه الحجة القاطعة
وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى
التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون نوف اليهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا يرزقون فيها من الصحة والرزق
وقيل هم اهل الريا يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارى فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقيل ولمن قاتل فقتل
قاتلت حتى يقال فلان جري فقد قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سايلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة
في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وقرى يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم
اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غايب مالي ولا حرم وحبط ما صنعوا فيها
وحبط في الاخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون
اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل بوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرى وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية
وتنتصب بيعملون ومعناه باطلا اي باطلا كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة معناه افمن كان
يريد الحيوة الدنيا كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من امن من اليهود

كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد
اي شاهد يشهد بصحته وهو القران منه من الله او شاهد من القران فقد تقدم ذكره انفا ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى وهو التورية اي ويتلو
ذلك البرهان ايضا من قبل القران كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القران حق ويتلوه ويقراء
القران شاهد منه وشاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن
قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القران التورية اماما كتابا موتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني من كان على بينة
يؤمنون به يؤمنون بالقران ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده فلا تك
في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القران او من الموعدة يعرضون على ربهم يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم وتشهد عليهم الاشهاد من
الملئكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فواخزياه ووافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او
شهيد كاصحاب واشراف ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتاكيد كفرهم
بالاخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم
فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما
كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهيتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه
فيوعوج به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما
كان لهم من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض لوعيد خسروا انفسهم اشتروا عبادة الالهة بعبادة
الله وكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة
وشفاعتها لا جرم فسر في مكان اخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم واخبتوا الى ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع و
التواضع من الخبت وهو الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت وقيل التاء فيه بدل من الثاء
شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه
امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو في والاصم وفي والسميع
لعطف الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها اي ارسلنا نوحا باني لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا
الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على ارادة القول ان
لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع
الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده الملأ الاشراف
من قولهم فلان ملئ بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤا بالامر لانهم ملاء بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤن اي يتظاهرون
ويتساندون او لانهم يملاؤن القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والاراء الصائبة ما نريك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة
وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازنهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما
نرى لكم علينا من فضل وارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادي الراي
بالهمز وغير الهمز يعني اتبعوك اول الراي او ظاهر الراي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم

المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عنّ لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المومنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنياوية
لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون
عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زلّ عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة
والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب الاخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف
بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله مِن فَضْلٍ من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذبين فيما تدعونه أَرَأَيْتُمْ اخبروني
إِنْ كُنْتُ على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وَآتَانِي رحمة من عنده بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان
يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فان قلت فقوله فعميت ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا قلت وجهه ان يقدر
فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاختصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقري فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان قلت فما حقيقته
قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم
دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت فما معنى قراءة ابي قلت المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه
والدليل عليه قوله أَنُلْزِمُكُمُوهَا وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين
وقد جي بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن
ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان
الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله لا اسالكم عليه راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله وقري وما انا
بطارد الذين امنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم
على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما
علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية او هم مصدقون بلقاء ربهم
موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة تَجْهَلُونَ تتسافهون على المومنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون
انهم خير منكم مَنْ يَنْصُرُنِي من يمنعني من انتقامه ان طردتهم وكانوا يسالونه ان يطردهم ليومنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء أَعْلَمُ الْغَيْبَ معطوف
على عندي خزاين الله اي لا اقول عندي خزاين الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزاين الله فادّعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي
بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضماير قلوبهم وَلَا أَقُولُ اني ملك حتى
تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا احكم على من استرذلتم من المومنين لفقرهم ان الله لن يوتيهم خيرا في الدنيا والاخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة
لكم ونزولا على هواكم إِنِّي إِذًا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصّر به يقال ازدرته عينه واقتحمته
عينه جَادَلْتَنَا فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فَأْتِنَا بما تعدنا من العذاب المعجل إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ
بِهِ اللَّهُ اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه إِنْ شَاءَ يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس فاكثرت جدلنا فان قلت
فما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل
الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار
فخلاه وشانه ولم يلجيه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى
الفصيل اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصايح الله ومواعظه وساير الطافه كيف ينفعكم نصحي فَعَلَيَّ اجرامي

وإجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال ويعضد الجمع ان فسره الاولون بآثامي والمعنى ان صح
وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا علي وَأَنَا بَرِيءٌ يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى مما
تجرمون من اجرامكم في اسناد الافترا الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم لَن يُؤْمِنَ اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به التوقع إِلَّا مَن قَدْ
آمَنَ الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فَلَا تَبْتَئِسْ فلا تحزن حزن بائس مستكين قال ما يقسم الله اقبل غير مبتئس
منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم بِأَعْيُنِنَا في موضع الحال بمعنى
اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه وَوَحْيِنَا وانا
نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ولا تدعني في شأن
قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجد ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه
كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ حكاية حال ماضية سَخِرُوا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها
في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا فَإِنَّا
نَسْخَرُ مِنكُمْ يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا
فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا
تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان
طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم وجعله معترضا
بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومايتي ذراع وعرضها ستماية وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة
يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك فقال تدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب
الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها
الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح عليه السلام قال كان طولها الف ذراع ومايتي ذراع وعرضها ستماية ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب
والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا مَن يَأْتِيهِ في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني
به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق وَيَحِلُّ عَلَيْهِ حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عَذَابٌ مُّقِيمٌ وهو عذاب الآخرة حتى
هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فَإِن قُلْتَ وقعت غاية لماذا قُلْتُ لقوله فيصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء
وقت الموعد فَإِن قُلْتَ فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قُلْتُ هو حال من يصنع كقوله كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر
عليه ملأ من قومه سخروا منه فَإِن قُلْتَ فما جواب كلما قُلْتُ انت بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل او تجعل
سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا وَأَهْلَكَ عطف على اثنين وكذلك وَمَنْ آمَنَ يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من
سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد
ابنه وامراته إِلَّا قَلِيلٌ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة
رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال
ونصفهم نساء ويجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله

او قايلين بسم الله وقت اجرايها ووقت ارسايها اما لان المجري والمرسي للوقت واما لانهما مصدران كالاجرا والارسا حذف منهما الوقت المضاف كقولهم
خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يريد مكان الاجرا والارسا وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلام ان يكون بسم
الله مجريها ومرسيها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو
قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقري مجراها ومرسيها بفتح الميم من جري
ورسي اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت
معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل ان يكون غير مقتضبة بان يكون في موضع
الحال كقوله وجاؤنا بهم سكر علينا فلا يكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة
ومرساة باسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي
تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان
شبه كل موجة منها بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الما عند اضطرابه وزخيره وكان الما قد التقى وطبق ما بين السما والارض
وكانت الفلك تجري في جوف الما كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقيل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قوله ابنه ساوي
الى الجبل يعصمني من الما قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الها يريدان
ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه
واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون
ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبيا عليهم السلام وقرا السدي ونادي نوح ابناه
على الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المومنين وقيل كان في
معزل عن دين ابيه يا بني قري بكسر اليا اقتصارا عليه من يا الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه بالالف المبدلة من يا الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت اليا والالف
لالتقا الساكنين لان الرا بعدهما ساكنة الا من رحم الا الراحم وهو الله او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المومنين
وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الما قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو
مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولكما دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثنا منقطع كانه قيل
ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقري الا من رُحم على البنا للمفعول نداء الارض والسما بما ينادي به الحيوان المميز على لفظ
التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين ساير المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سما ثم امرهما بما يومر اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على
الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشا غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه
وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيته على الفور
من غير ريث وكما يرد عليهم امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطا والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض
الما من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا يقال
بَعِدَ بُعدًا وبَعَدًا اذا اراد البُعدَ البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعا السو ومجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال
والكبريا وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان
يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهايل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره

ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الاية ورقصوا لها رؤسهم لا التجانس الكلمتين ومما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي
الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين
ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشورا وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه
السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى نداوه ربه دعاوه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضا وعده في تنجية اهله فان قلت
فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف فقال رب على نادي بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه
نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو
الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره
الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون
من الحكمة على ان يبني من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه
ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن
لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه
السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ
المنفي واذن بذلك انه انما نجى من اهله بصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عملا غير صالح وقرئ فلا تسالن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء
وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسالة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف
عليه فان قلت لم سمي نداءه سوالا ولا سوال فيه قلت قد تضمن دعاوه معنى السوال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده
الغرق فقد استنجز وجعل سوال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان
عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة
الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سواله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم وكان عليه
ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا يخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من
المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه اني اسالك من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تادبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا
تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما
عليك مكرما وبركات عليك على التوحيد ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان يكون من للبيان
فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشية ممن معك وهي الامم الى اخر
الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفته والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا
والبركات عليك وعلى امم من المومنين ينشاون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان
منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مومن ومومنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد
هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح
عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل

ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فَاصْبِرْ على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في
العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح وقومه ان العاقبة في الفوز والنصرة والغلبة لِلْمُتَّقِينَ وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على
كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده أَخَاهُمْ واحدا منهم وانتصابه
للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقري غيره بالجر صفة على اللفظ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ يفترون
على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركا ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحصها الا حسم المطامع و
ما دام يتوهم شي منها لم تنجع ولم تنفع أَفَلَا تَعْقِلُونَ اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الاخرة ولا شي انفى للتهمة من ذلك
قيل اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ امنوا به ثُمَّ تُوبُوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثيرة الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم
الى الايمان وترغيبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شي الى الماء
وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة
على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن ابن علي انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد
لي فعلمني شيا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعماية مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية
فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقال نوح عليه السلام ويمددكم باموال وبنين
وَلَا تَتَوَلَّوْا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مُجْرِمِينَ مصرين على اجرامكم واثامكم مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ كذب منهم وجحود كما قالت قريش
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت ايات الحصر عَنْ قَوْلِكَ حال من الضمير في تاركي الهتنا كانه قيل وما نترك الهتنا صادرين عن
قولك وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول
الا قولنا اعتراك بعض الهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم
بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اوليك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب
من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التايب عن الذنوب مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في ايام جاهليته
من الموادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد ابى الا ان ينبض وضب من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة
غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة
انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب من اعظم الايات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه
يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخاليبهم ونحو ذلك قال نوح لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براته من الهتهم
وشركهم ووثقها بما جرت به عادات الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه
كونوا شهداء على اني لا افعله فَإِنْ قُلْتَ هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قُلْتُ لان اشهاد الله على البراءة من الشرك به اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت
التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجي به على
لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مِمَّا تُشْرِكُونَ من دونه من اشراككم الهة
من دونه او مما تشركونه من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركا له ولم يجعلها هو شركا ولم ينزل بذلك سلطانا فَكِيدُونِي جميعا انتم والهتكم كيدا اعجل
ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني الهتكم وما هي الا جماد لا تضر
ولا تنفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددتك عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلايته من كيدهم وصفه بما

يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فَإِن تَوَلَّوْا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء
للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم فقد ابلغتكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول و
يستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجئ بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم وَلَا تَضُرُّونَهُ بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع
وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلفْ بالجزم وكذلك ولا تضرّوه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا
الا انفسكم على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه
من المضار لم يضر مثله مثلكم وَالَّذِينَ آمَنُوا معه قيل كانوا اربعة آلاف فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال
ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم وكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم
فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق
له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم
اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى
تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله والا وتكرارها مع النداء
على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بُعْدًا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم
قلت الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا قَوْمِ هُودٍ عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا
البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى
القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب
وَاسْتَعْمَرَكُمْ وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع
ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية ابن ابي سفيان انه اخذ
في احياء الارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الارض آثار وقيل استعمركم بالعمر نحو استبقاكم
من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعنى اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء
اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قَرِيبٌ داني الرحمة
سهل المطلب مُّجِيبٌ لمن دعاه وساله فِينَا فيما بيننا مرجوا كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في
ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يَعْبُدُ آباؤنا حكاية حال ماضية مُرِيبٍ من اراب اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة من يقين او من
اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا
اني على بينة من ربي وانني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فَمَا تَزِيدُونَنِي اذن حينئذ غير تخسير يعني
تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسّركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون آيَةً نصب على الحال
قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصب على
الحال عَذَابٌ قَرِيبٌ عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلثة ايام ثم يقع عليكم تَمَتَّعُوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه

يدار فيها اي يتصرف ويقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم
الاربعا وهلكوا يوم السبت غَيْرُ مَكْذُوبٍ غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرايه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او
على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقود وكالمصدوقة بمعنى الصدق وَمِن
خِزْيِ يومئذ قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على نجينا لان تقديره ونجيناهم من
خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت التنجية من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله
وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة وقرئ الا ان ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب
الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة رسلنا يريد الملائكة عن ابن عباس جاء جبريل عليه السلام ومعه ملكان وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل
وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بِالْبُشْرَى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد سلاما سلمنا عليك سلاما سلام امركم سلام وقرئ فقالوا
سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوايح فما لبث ان جاء فما ابطأ في
المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه بعجل والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والحبش بلغة اهل السراة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في اخدود وقيل حنيذ
يقطر دسمه من حَنَذْتُ الفرس اذا القيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن
منكر ومستنكر وانكرك وقال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا
به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس بانهم ملايكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر
انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم
راوا اثر الخوف والتغير في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملايكة موجب الخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وَامْرَأَتُهُ قايمة قيل كانت قيل
قايمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قايمة على رؤسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامراته قايمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك
اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك فاني اعلم انه ينزل بهولاء القوم العذاب
فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد الاعرابي فضحكت بفتح الحاء يَعْقُوبَ رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحاق
يعقوب مولود او موجود اي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه
قيل ووهبنا لها اسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب الالف في يا ويلتي مبدلة من يا الاضافة وكذلك في يا لهفي ويا
عجبا وقرا الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب عامل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا
محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا وشيخ خبر او يكونان معا خبرين قيل بلغت ولها ثمان وتسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة التي اجراها الله وانما انكرت عليها الملايكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات
ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات وكان عليها ان تتوقر ولا تزدهيها ما يزدهي ساير النساء الناشيات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده
مكان التعجب والى ذلك اشارت الملايكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم
بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان
امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم حَمِيدٌ فاعل
ما يستوجب به الحمد من عباده مَجِيدٌ كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل
الرحمن الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب

لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا او قوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في يجادلنا هو جواب لما وانما جي به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قال والله ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اسا اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تايب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت له الملايكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فايدة فيه انه قد جاء امر ربك هو قضاوه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصوصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده يهرعون اي يسرعون كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فمرنوا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هولاء بناتي اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هولاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جايزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وايل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هولاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هولاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هولاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزاي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هولاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهو الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة اليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقري ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعهم واظهار الشدة استعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطوهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل ولذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله لو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم

فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملئكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي
الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين روي انه اغلق بابه حين جاؤا
وجعل يرادهم على ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملئكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب
ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم
وهو براق الثنايا فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت
لوط قوما سحرة لن يصلوا جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره قرئ فاسر بالقطع والوصل والا امراتك بالرفع والنصب
وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراة من قرا الا امراتك
بالنصب قلت استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثنا
وان كان الفصيح هو البدل اعني قراة من قرا بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامران لا يلتفت منهم احد الا هي فلما
سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امران يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القرائتين لاختلاف الروايتين
جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السما حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم
من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة
وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السما نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب
وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه
وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو لعرض حجر يسقط من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى
اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم بعيد بشي بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السما هي مكان بعيد الا انها اذا
هوت منها فهي اسرع شي لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه اني اريكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اريكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير
ما تفعلون او اريكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مومن ال فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جانا يوم محيط
مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل
يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه فان قلت النهي عن النقصان امر بالايفا فما فائدة قوله اوفوا قلت
نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفا الذي هو حسن في العقول
مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجي به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفا على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان
ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفا القسط لان الايفا وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلث فوايد البخس
الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم وروي بخس درهم وكانوا ياخذون من كل شي يباع اشيا كما يفعل السماسرة وكانوا يمكسون
الناس وكانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشيا فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم
في الارض بقيت الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مومنين بشرط ان يومنوا فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون
معها في تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت لظهور فايدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفا فايدتها مع فقده لانغماس
صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى
لكم من عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام

فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا
عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها انما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات
وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزؤ والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية
في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا
الصلوة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك
به آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به امر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم ان الصلوة من باب الجنون ومما يتولع به المجانين
والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر
بفعل غيره وقرئ اصلوتك بالتوحيد وقرا ابن ابي عبلة وان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع
بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا
ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك
وما شهرت به ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب ارايتم
وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على
حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان
الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصد ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد
ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان
اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه
لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا
به كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه
موافقا لرضا الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم
لاطماعهم جرم مثل كسب في تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه
قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول
من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان
مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم
ادور وهم له اكثر استعمالا وقرا ابو حيوة وروي عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وما قوم لوط منكم ببعيد
يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه
قوم من حمله على لفظ او معنى قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير
بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان
والاجمال ما نفقه اي ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم
لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوا وقالوا ذلك على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم